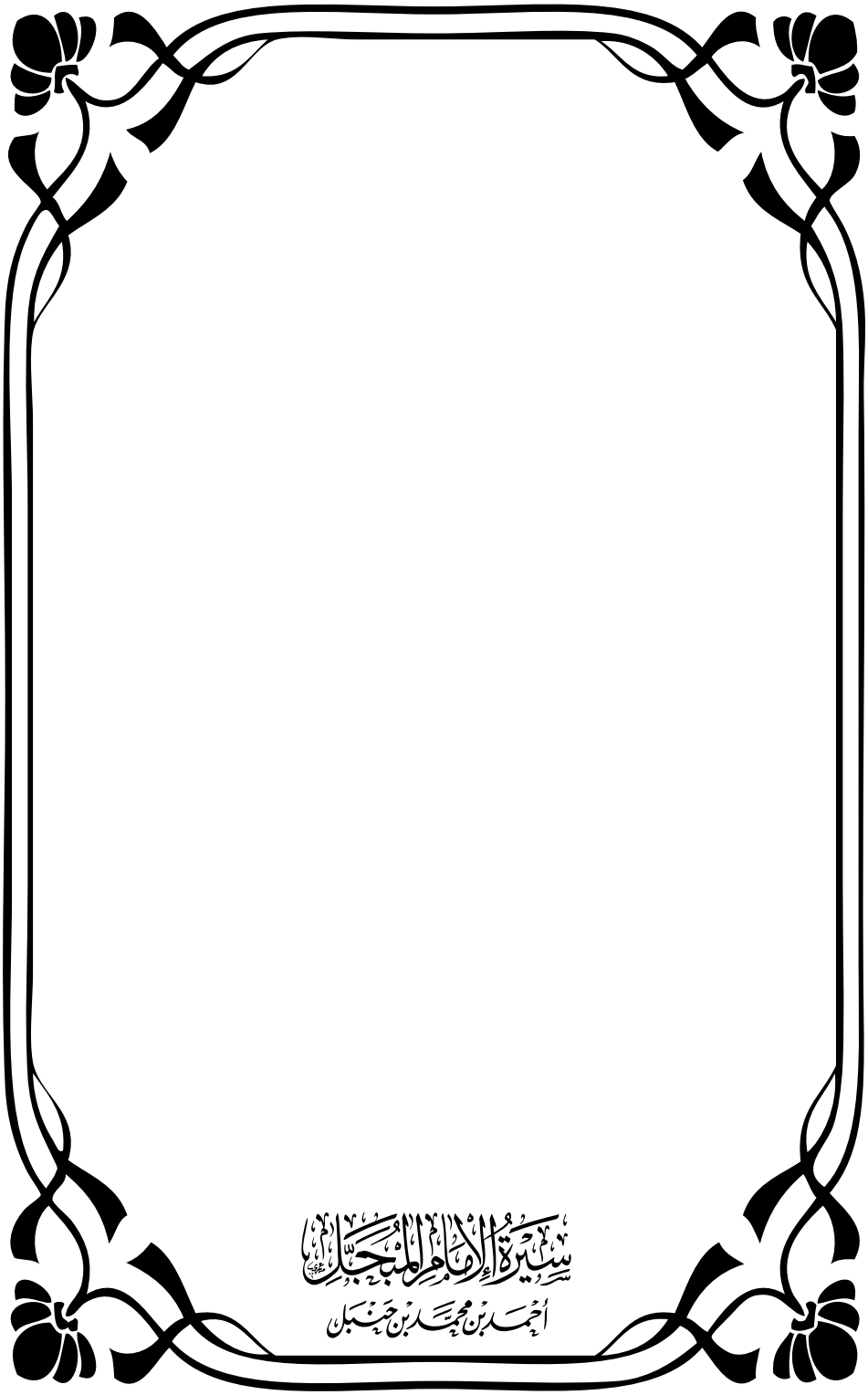
سيرة الإمام المبجل
أحمد بن محمد بن حنبل

حقوق الطبع محفوظة
لـ «دار المنهاج»
الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

رقم الإيداع: ٢٢١٤٥/٢٠٠٩م

٨١ شارع الهدي المحمدي –من أحمد عرابي – مساكن عين شمس-
القاهرة – جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤٠٨١ – ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤٠٧٨ – ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤١١٣
E-mail: daralmenhaj@hotmail.com
daralminhaj@yahoo.com

سيرة الإمام المبجل

أحمد بن محمد بن حنبل

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

دار المنهاج

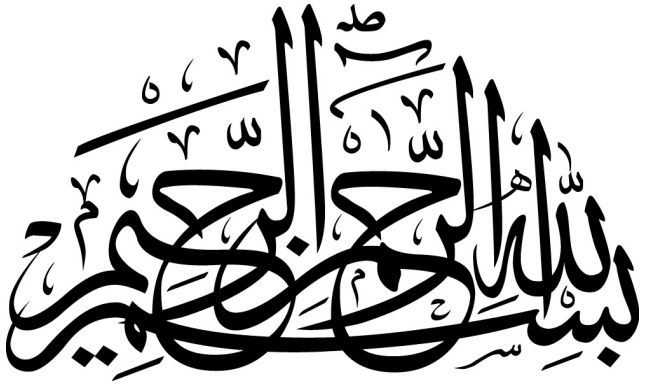
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمين، وأَشْهد أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله المُتكفِّل بحِفْظِ عُلُومِ الدِّين، وأَشْهد أَنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ، أَشْرفُ الأَنْبياءِ والمُرْسلينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسانٍ، وَاقْتفَىٰ أَثرَهم إِلَىٰ يَوْمِ الدِّين.

أَمَّا بَعْد:

فإِنَّ اللهَ ﷻ قَدِ اخْتارَ لهَذَا الدِّينِ أَئمَّةً صَادِقين، بالحقِّ قَائِلين، وبِهِ عَامِلِينَ، وإِلَيْه دَاعِينَ، وللبَاطِلِ مُجْتنبِينَ، وعَنْه مُحذِّرينَ، فَجَعلهُمْ حُرَّاسًا لدينِهِ المَتِينِ، يَنْفونَ عَنْه تَحْريفَ الجَاهِلِينَ، وانْتِحَالَ المُبْطلين، وتَأْوِيلَ الغَالِينَ؛ وذَلَّلَ لَهُمْ صِعَابَ عُلُومِ الاجْتِهَادِ؛ فَتتبَّعُوهَا مِنَ الأَفْواهِ والصُّدُور، وخَلَّدوها للمُتأَخِّرين من الأُمَّة في الأَوْراق والسُّطُورِ، واسْتَنْبطُوا من القَوَاعِد ما لا يَزُولُ بمُرُورِ الدُّهُورِ، وَاطَّلَعُوا من أَنْوارِ عِلْمِ

الكِتَابِ والسُّنَّة علىٰ أَنْوارِ البَصَائِر نُورًا عَلَىٰ نورٍ»[١].

ومِنْ هَؤُلاء الأئمَّة المُهْتدِينَ: الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، الَّذي كان عَلَمًا من أَعْلام الأُمَّة الصَّادقين، وعَالِمًا من عُلَمائِها الرَّبَّانيِّينَ، ورَمْزًا للصُّمُودِ والثَّباتِ علىٰ الإِيمَانِ الرَّاسخ، ورَفْض الأَفْكار الدَّخيلة علىٰ عَقِيدَةِ الإِسْلام الصَّافية.

فلَمْ يَقْبل أَنْ يُداهنَ، ولا أَنْ يَترخَّصَ لينجو من الإِيذَاءِ في سبيل الله؛ فوَقَف وقفةً قَويَّةً عظيمةً في وَجْه البِدَعِ الَّتي أَرَادَتِ النَّيْلَ من الدِّين، خُصُوصًا في مَسْألة القَوْلِ بخَلْقِ القرآنِ، وثَبتَ ثَباتَ الشُّمِّ الرَّواسِي بالرُّغْم من التَّعْذيبِ، والضَّرْبِ بالسِّياطِ، والحَبْسِ، والمُلَاحقةِ، والإِغْراءِ.

كلُّ هَذَا مَعَ تَحلِّيه بطُهْر الوُجْدانِ، وحُبِّ الخير للأَنَام، إِلَّا أَنَّه لَمْ يَكْرَه سِوَىٰ البَاطِلِ والمُبْطِلينَ، فكانت حياتُهُ قِصَّةً وعِبْرةً تَروي كفاحَ إِنْسانٍ حَمَل في أَعْمَاقِ صَدْره حُبَّ ربِّه ودينِهِ وأُمَّتِهِ، نَحْسبه كَذَلِكَ، واللهُ حسيبُهُ، وهو يَتولَّىٰ الصَّالحين.

وقَدْ قالَ الإمامُ عليُّ بن المدينيِّ، وهُوَ شَيْخُ الإمام أَحْمد، وشَيْخُ الشَّافعيِّ، وشَيْخُ البُخاريِّ، وغيرهم: «اتَّخَذْتُ أحمدَ إِمَامًا فِيمَا بَيْنِي وبَيْنَ الله تَعَالىٰ».

---

(١) انظر «إرشاد النقاد إلىٰ تيسير الاجتهاد» للإمام الصنعاني، (ص ٧٣)، الدار السلفية، ١٤٠٥هـ.

وقَالَ: «إذا أَفْتانِي أحمد بن حنبل لَمْ أُبَالِ إذا لَقِيتُ رَبِّي كَيْفَ كان».

وقال: «أَحْمد سَيِّدُنا، حَفِظَ اللهُ أَحْمدَ، هُوَ اليوم حُجَّةُ الله عَلَىٰ خَلْقِهِ».

وقالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالىٰ أَعَزَّ هَذَا الدِّينَ بِرَجُلَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُما: أبو بَكْرٍ الصِّدِّيق يومَ الرِّدَّة، وأَحْمد بن حنبل يَوْمَ المِحْنَةِ».

وقَدْ قالَ قتيبة وأبو حاتم: «إِذَا رأيتَ الرَّجُلَ يحبُّ الإمامَ أحمدَ بن حنبل، فَاعْلَمْ أنَّه صاحبُ سُنَّةٍ».

وقَالَ ابْنُ ماكولا: «الإمامُ أَحْمَدُ هو إِمَامُ النَّقْلِ، وعَلَمُ الزُّهْدِ والوَرَعِ».

وقَالَ غَيْرُ واحدٍ من أَئمَّة الدِّين: «الإمامُ أَحْمدُ إمامُ أَهْلِ السُّنَّة».

وَفِي قَصِيدَةِ إِسْماعِيل بن فلان التِّرمذيِّ:

لَعَمْرُكَ ما يَهْوى لأَحْمدَ نَكْبةً ... مِنَ النَّاس إِلَّا نَاقِصُ العَقْلِ مِعْورُ

هُوَ المِحْنةُ اليَوْم الَّذي يُبْتلى به ... فيَعْتبر السُّنِّيُّ فِينَا ويَسْبرُ

فَقَأَ أَعْيُنَ المُرَّاقِ فِعْلُ ابْنِ حَنْبل ... وأَخْرسَ مَنْ يَبْغِي العُيُوبَ ويَحْفرُ

وقَالَ أبو مزاحم الخاقاني:

لَقَدْ صَارَ فِي الآفَاقِ أَحْمد مِحْنةً ... وأَمْرُ الوَرَى فِيهَا فَلَيْسَ بمُشْكَلِ

وقَالَ ابْنُ أَعْين رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ:

أَضْحَى ابْنُ حَنْبل حُجَّةً مَبْرورَةً وَبِحُبِّ أَحْمَدَ يُعْرفُ المُتنسِّكُ

وَإِذَا رَأَيْتَ لأَحْمَدَ مُتنقِّصًا فَاعْلَمْ بِأَنَّ سُتُورَه سَتُهْتَكُ[1]

وبَعْدُ:

فقَدْ طَلَبَ المُشْرِفُونَ عَلَىٰ وَقْفِ السَّلام الخيريِّ بمدينة الرِّياض من فضيلة الشَّيخ العَلَّامة المُحدِّث أحمد بن يَحْيىٰ النَّجْمي رَحِمَهُ اللهُ أن يُتَرْجِمَ لعَلَمٍ من أَعْلام الحديث، وإِمَامٍ من أَئمَّتهم، فَاخْتَار رَحِمَهُ اللهُ الإمامَ أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ اللهُ؛ لِمَا له مِنَ المَحبَّةِ والقَبُولِ والإِجْلالِ عِنْدَ النَّاسِ جميعًا، وَفِي الأَوْساطِ العِلْميَّةِ خَاصَّةً، وعَمِلَ عَلَىٰ أَنْ تَكُونَ التَّرْجمةُ وَافيةً بالمُرَاد منها.

هَذَا، وَقَدْ قَامَ قِسْمُ التَّحقيق والبحث العلميِّ بـ«دار المنهاج» بالتَّعاون مع اللَّجْنَة العِلْميَّة لمُؤلَّفاتِ الشَّيخ العَلَّامة المُحدِّث أحمد بن يحيى النَّجْمي رَحِمَهُ اللهُ بتَحْقيق هذِهِ التَّرجمة القَيِّمةِ تَحْقيقًا عِلْميًّا وَفْقَ الخُطُواتِ العِلْميَّة المَنْهجيَّة التَّالية:

١- إِثْباتُ الآياتِ القُرْآنيَّة بالرَّسْم العثمانيِّ، وعَزْوها إِلَىٰ مَوَاضِعها في المُصْحفِ الشَّريفِ.

---

(١) انظر «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (١/ ٦٤، ٦٥)، مؤسسة الخافقين، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢م.

٢- تَخْريجُ الأَحَاديث بمَنْهجٍ مُوحَّدٍ، وقَد اعْتَمَدنا في التَّخْريجاتِ عَلَىٰ كُتُبِ الحديث ذات التَّرقيماتِ المُعْتمدة؛ كـ «ترقيم مُحمَّد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ»، وقَد اكْتَفيْنا بتَخْريج الحَدِيثِ إِنْ كَانَ في «الصَّحيحين»، أَوْ أَحَدهما بذِكْرِ رَقَمِهِ، وإِنْ كانَ في غَيْرهما ذَكَرنا رَقَمه، أو رَقم الجزء والصَّفحة، ثمَّ أَوْرَدنا حُكْمَ الشَّيخ الأَلْبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عليه غالبًا.

٣- عَزْوُ الأَقْوالِ في التَّرْجمَةِ إلىٰ مَصَادِرها.

٤- عَمَلُ مُقدِّمةٍ للتَّحْقيق بَيَّنَّا فيها المَنْهجَ المُتَّبعَ في تَحْقيق هذِهِ التَّرْجَمةِ النَّافعةِ.

٥- عَمَلُ تَرْجمةٍ للشَّيخِ العَلَّامة المُحدِّث أحمد بن يَحْيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

والله من وَرَاء القَصْد، وَهُو المُوفِّق والهادي إلىٰ سَوَاء السَّبيل.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

اللجنة العلمية لمؤلفات العلامة أحمد النجمي رحمه الله

قسم التحقيق والبحث العلمي بـ «دار المنهاج»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ

اسمه ونسبه:

هُوَ شَيْخُنا العَلَّامة، السلفي، الفَقِيه، المُسْند، المُحَدِّث، حاملُ لِوَاء السُّنَّة ونَاصِرُها، وقَاهِر البِدْعةِ ومُبْطلها، العَالِم الرَّبَّانيُّ الحَبْر، صَاحِبُ الأَخْلاقِ العَلِيَّة، والمَنَاقبِ الرَّضيَّة، ذُو التَّصانِيفِ النَّافعة، والمُصنَّفاتِ الجَلِيلة الرَّائعة، كَانَ مَنَارًا عَظِيمًا مِنْ مَنارَاتِ العِلْم، مُتَّفقًا علىٰ عِلْمِهِ وإمامتِهِ وجلالتِهِ وزُهْدِهِ ووَرعِهِ وعبادتِهِ وصيانتِهِ، مُفْتيًا لمِنْطقة جَازَان في عصرِهِ: **أَحْمد بْن يَحْيىٰ ابْن مُحمَّد بْن شُبَير النَّجْمي**.

ولادته ونشأته:

وُلِدَ الشيخُ أحمدُ بن يَحْيَىٰ النجمي في ٢٢/ ١٠/ ١٣٤٦هـ بقَرْية النجامية، وكَانَ وحيدًا لأَبَوَيْنِ صَالِحَين لم يُرْزقَا سِوَاه؛ ولِذَلِكَ نَذَرا ألَّا يُكلِّفانه شيئًا من أُمُور الدُّنيا، بَلْ نَذَرا به لله ﷻ في تَعْليمِهِ، وتَرْبيتِهِ تَرْبيةً سَلِيمةً صَحِيحةً.

نشأته العلمية:

مَنَّ اللهُ ﷻ علىٰ منطقة جازان بقُدُومِ شيخٍ كبيرٍ، وعالمٍ جليلٍ قادمٍ من بلاد نجد؛ إنَّه الشَّيخ العَلَّامة/ عبد الله بْن مُحمَّد القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكَانَ قُدُومُه لمنطقة جازان عام ١٣٥٨هـ بأَمْرٍ من مُفْتي الدِّيار السُّعودية آنَذَاك، سماحة الشَّيخ العَلَّامة/ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وقَدِ اسْتَقرَّ المقامُ بالشَّيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في صامطة داعيًا، ومُرْشدًا، ومُعلِّمًا، ثمَّ أَنْشَأ بَعْد ذَلِكَ المدرسةَ السَّلفيَّة بصامطة، وذَلِكَ في عام ١٣٥٩هـ.

وكان المُتَرجم له الشَّيخُ أحمدُ بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ يَتردَّد علىٰ الشَّيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرًا بصُحْبة عَمَّيه (الشَّيخ حسين بن محمد النَّجمي، والشَّيخ حسن بن محمد النَّجمي رحمهما الله)، وكَانُوا يَأْخُذون عنه جميعًا العلمَ الشَّرعيَّ، وفي شهر صفر من عام ١٣٦٠هـ سَارَع الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مع أبناءِ قَريتِهِ النجامية بِالالْتِحَاقِ بالمَدْرسَة السَّلفيَّة بصامطة، وانْتَظمُوا في حَلْقة الشَّيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، وَاسْتَمعُوا لدُرُوسِهِ، وتَزوَّدُوا من علمِهِ.

فأَخَذ الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ عن الشَّيخ القرعاويِّ رَحِمَهُ اللَّهُ الأُصُولَ الثَّلاثةَ، والتَّجْويدَ، والتَّفْسيرَ وأُصُولَه، وتَابَع معه في عُلُوم القرآنِ، والتَّاريخ الإسلاميِّ، واللُّغة العربيَّة، وغيرها.

كما قرأ الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ الشيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ كتابَ «التَّوْحيد»، و«العقيدة الطَّحاويَّة» بشَرْح الشَّيخ القرعاوي، وقَرَأ عليه «بُلُوغ المرام»

و«البَيْقونيَّة»، و«نُخْبة الفِكَر»، وشرحها «نزهة النَّظر»، و«الدُّرر البهيَّة» مع شَرْحها «الدَّراري المضيَّة» في الفقه.

أعماله:

عُيِّنَ من قِبَل شَيْخِهِ مُدرِّسًا في مدرسة النجامية التَّابعة لمَدَارِسِ الشَّيخ القرعاويِّ رَحِمَهُ اللَّهُ احْتِسَابًا، وذَلِكَ في ١/ ٢/ ١٣٦٧هـ.

وفي عام ١٣٧٢هـ، عُيِّنَ بأمرِ شَيْخه عبد الله القرعاوي إمامًا، وواعظًا، وخطيبًا في قَرْية (أبو سبيلة) بالحرث حتَّىٰ نهاية عام ١٣٧٣هـ.

وَفِي بِدَايَة عام ١٣٧٤هـ، تمَّ افتتاحُ المعهدِ العِلْميِّ في صامطة؛ فعُيِّنَ فِيهِ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعلِّمًا، وكَانَ ذَلِكَ في ١/ ١/ ١٣٧٤هـ.

وبَقِيَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ مُدرِّسًا بالمَعْهدِ العلميِّ في صامطة حتَّىٰ ١١/ ٣/ ١٣٨٤هـ، حيث اسْتقَالَ من التَّدْريسِ علىٰ أملِ أَنْ يُواصِل تدريسه في الجَامِعَةِ الإِسْلاميَّة بالمدينَةِ النَّبويَّةِ، وبعدها عَمِل في سِلْك الدعوة إلىٰ الله ثلاث سنوات.

ولمَّا تَعِبَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ من التَّنقُّل بَيْن المُدُنِ والقُرَىٰ- رَغِبَ أن يَعُودَ إلىٰ حَقْل التَّعْليم في المَعَاهِدِ العِلْميَّة؛ فنُقِلَتْ خِدْماتُهُ إلىٰ المعهدِ العلميِّ مَرَّةً أُخْرىٰ بجازان، فعُيِّنَ فيه في ١/ ١/ ١٣٨٧هـ، ثمَّ انْتقَل بَعْد ذَلِكَ إِلَىٰ مَعْهدِ صامطة العلميِّ إلىٰ أَنْ أُحِيلَ للتَّقاعُدِ في ١/ ٧/ ١٤١٠هـ؛ لبُلُوغِه السِّنَّ النِّظاميَّة.

ثُمَّ عادَ رَحِمَهُ اللَّهُ واستقرَّ به المقامُ في مَسْقط رأسِهِ بقَرْيتِهِ النجاميَّة إمامًا وخطيبًا بجَامِعِها، ومُعلِّمًا ومُفتيًا فيها.

۞ شيوخه الذين تلقى على أيديهم العلم، وهم بالترتيب الزمني:

١- الشَّيخ عبده بن عقيل النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢- الشَّيخ يحيىٰ فقيه عبسي رَحِمَهُ اللَّهُ من أَهْلِ اليَمَن.

٣- الشَّيخ الإمام العَلَّامة الدَّاعية المُجدِّد في جَنُوب المملكة: عبد الله ابن مُحمَّد القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- الشَّيخ عثمان بن عثمان حملي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- الشَّيخ إبراهيم بن مُحمَّد العمودي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦- الشَّيخ علي بن الشَّيخ عثمان زياد الصُّومالي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧- الشَّيخ حافظ بن أحمد حَكَمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٨- الشَّيخ الإمام العَلَّامة مُفْتي البلاد السُّعودية السَّابق مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩- الشَّيخ الإمام العَلَّامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ تلاميذه:

وقَدْ تَخرَّج عَلَى يَدَي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ آلافُ الطُّلاب والحَمْدُ لله، نذكر منهم:

١ـ العَلَّامة المُحدِّث الدُّكتور/ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله.

٢ـ العَلَّامة الفقيه زيد بن محمد مدخلي حفظه الله.

٣ـ العَلَّامة الدُّكتور/ علي بن ناصر فقيهي حفظه الله.

٤- الشَّيخ الدُّكتور/ مُحمَّد بن هادي المَدْخلي حفظه الله.

وهُنَاك الكَثِيرُ والكَثِيرُ من طُلَّاب العِلْمِ الَّذين تَخرَّجوا علىٰ يدي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من شَتَّىٰ البُلْدان من المَمْلكةِ العَربيَّة السُّعودية وَخَارِجها.

۞ مؤلفـاته:

لفضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ مؤلفات كُثرٌ؛ نذكر منها:

١- إتمام المِنَّة بشرح أصول السُنَّة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢- فتح الربِّ الغَني بتوضيح شرح السُّنَّة للمُزني رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣- فتح الرَّحيم الودود في التعليق علىٰ كتاب السُّنَّة من سُنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- إرشاد السَّاري إلىٰ شرح السُّنَّة للإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- بُلوغ الأَمَاني بشرح عقيدة ابن أبي زَيْد القَيْرواني رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو هذا الشرح الذي بينا أيدينا.

٦- الفوائد الجِيَاد مِن لمعة الاعتقاد.

٧- التعليقات الأثرية علىٰ العقيدة الواسطية.

٨- التعليقات البهية علىٰ الرَّسائل العقدية.

٩- الشرح المُوجز المُمهَّد لتوحيد الخالق المُمجَّد الذي ألَّفه شيخ الإسلام مُحمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٠- الأمالي النَّجمية علىٰ مسائل الجاهلية.

١١- فتح الربِّ الغفور ذي الرَّحمة في شرح الواجبات المُتحتمات المَعْرِفة علىٰ كل مُسلمٍ ومُسلمة.

١٢- الفوائد المنثورة بالتعليق علىٰ أعلام السُّنَّة المَنْشورة للحَكَمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣- أوضح الإشارة في الردِّ علىٰ مَنْ أباح المَمنوع من الزيارة.

١٤- تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة.

١٥- رسالة الإرشاد إلىٰ بيان الحقِّ في حكم الجهاد.

١٦- المَوْرد العَذْب الزُّلال فيما انْتُقِد علىٰ بعض المناهج الدَّعوية من العقائد والأعمال.

١٧- ردُّ الجواب علىٰ مَنْ طلب مِنِّي عدم طبع الكتاب.

١٨- فتح الربِّ الودود في الفتاوىٰ والرسائل والردود (٤ مجلدات).

١٩- الفتاوىٰ الجَليَّة عن المناهج الدَّعوية (مجلدان).

❁ صفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

تميَّز شيخُنا أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ بصفات كثيرة جليلة، نذكر منها:

□ أوَّلاً: حُسْنُ تَعَامل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مع طُلابِه، وتشجيعه لهم:

۞ كان شَيْخُنا أحمدُ النَّجْمي رَحِمَهُ اللَّهُ رُبَّما يَسأل سؤالًا؛ فيقول لأحدِ طُلَّابه: «أَخْبِر السَّائل بالجواب» - إذا عَلِمَ أنَّ الطَّالبَ يُتْقِنُ الجوابَ.

و قال الشَّيخُ مُحمَّد بن مُحمَّد صغير عَكُّور:

«سألني سائلٌ سؤالًا؛ فقلتُ له: أذهبُ أسألُ الشَّيخَ أحمدَ النَّجميَّ، ثمَّ أُبْلِغك الجوابَ! فلمَّا ذهبتُ إلىٰ الشَّيخ، وقلتُ له: سألني سائلٌ سؤالًا؛ فقلت له: أسألُكَ، ثمَّ أُعْطِيه الجوابَ. فقال لي الشَّيخُ: لماذا ما أفتيتَهُ؟ فقلتُ: يا شيخُ، كيف أُفْتِي وأَنْتَ هنا (أو كلامًا نحوه)، فقال الشَّيخُ: إلىٰ مَتَىٰ تَبقون عالَةً علىٰ النَّاس؟!».

و قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

۞ كان الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ رُبَّما يَأتي المُسْتفتِي؛ فيَسأل شيخنَا عن مسألةٍ؛ فيسألُ شَيْخُنا بعضَ الطُّلَّابِ، فيقول لهم: «ما رأيُكم في هذه المسألة؟» حتَّىٰ إنَّه في مرة من المَرَّاتِ قلتُ له: يا شيخَنا، الفَتْوىٰ لكم! فقال شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِن باب المُذَاكرة!».

۞ رُبَّما يُفتي شَيْخُنا في مسألةٍ من المسائل، فيَعْرِض عليه بعضُ الطَّلَبة وِجْهة رأيه في المسألة بأُسْلُوبٍ مُؤدَّبٍ، مُؤيِّدًا ذلك بالأدلَّة؛ فيُغيِّر شَيْخُنا فَتْواه في المسألة.

۞ ممَّا يُلَاحظ أنَّ شَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ كان إذا قَدَّمَ لرسالةٍ أو بحثٍ لأحدِ طُلَّابه، شَجَّعَه بما يكون حافزًا له علىٰ مُوَاصلةِ الجدِّ والبحثِ.

۞ أَلْقَىٰ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ محاضرةً، وحَصَل وَهْمٌ في بعضِ المسائل في المُحَاضرةِ، فأَمَر شَيْخُنا بالشَّريط الَّذي سُجِّلَتْ فيه المحاضرةُ، وصَوَّبَ ما حَصَل من وَهْمٍ فيها، وأعادَ تَسْجِيلَها؛ فرحمةُ الله عليه رحمة الأبرار.

۞ نَقَل شَيْخُنا في بعضِ كُتُبِهِ فوائدَ من بعضِ طُلَّابِهِ، وهذا في غاية التَّواضُعِ.

وقَالَ الشَّيخُ زيد بن مُحمَّد المدخلي -حفظه الله- كلمةً مختصرةً في شَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكنَّها عظيمةٌ في مَدْلولها:

«الشَّيخ أحمد مُرَبٍّ، وحقًّا إنَّه لمُرَبٍّ بأخلاقِهِ، مُرَبٍّ في تَعامُلِهِ مع طُلَّابِهِ وزُمَلائِهِ، ومُجْتمعِهِ».

□ ثانيًا: عبادة الشَّيخ وزُهده:

عُرِفَ شَيْخُنا العَلَّامةُ رَحِمَهُ اللَّهُ واشْتُهِرَ بحِرْصِهِ علىٰ العبادة، ومنها قيامُ اللَّيل، فلا يتركُهُ في حِلِّه وترحالِهِ، وفي سفرِهِ وإقامتِهِ؛ فكان لا يدعُ قيامَ اللَّيل عليه رحمة الله، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ لا ينام في اللَّيل إلَّا أربع ساعاتٍ فقط؛ كما أخبرَ بذلك بعضُ طُلَّابِهِ.

□ ثالثًا: تواضع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

لقَدْ قَدَّمَ شَيْخُنا أحمد بن يحيىٰ النَّجْمي أَرْوَعَ الأَمْثلة في التَّواضُع، فَمَا رَأَتْ عَيْناي مِثْلَه في التَّواضُع.

وإِلَيْك بَعْض مَواقِفِ شَيْخنا الَّتي تدلُّ على تَواضُعِه رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ كَثِيرًا ما كُنَّا نَرَىٰ شَيْخنا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ ليَغْسلَ الأَكْواسَ لِضُيُوفِهِ، أو يُقَرِّبَ ثلاجاتِ الشَّاي والقَهْوة إِلَيْهم.

❁ حَصَل لي قَبْل سَنَواتٍ كسرٌ في التُّرْقُوةِ، فَما إِنْ وَصَلْتُ من المستشفىٰ، ودخلتُ غُرْفةَ النَّوم في بَيْتي إلَّا وشَيْخنا أَحْمد النَّجمي دَاخلٌ عليَّ، وقَدْ وَصَله الخبرُ، وجَاءَ مُسْرعًا؛ ليَطْمئنَّ عليَّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ تَتبَّعتُ مَنْ زَارَنِي في ذَلِك المرَضِ؛ فرأيتُ أكثرَ مَنْ زَارَنِي هُو شَيْخنا أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ كُنْتُ إذَا غِبْتُ عن شَيْخنا النَّجميِّ يومًا لظُرُوفٍ أو لشُغْلٍ مَا؛ اتَّصلَ بِي مباشرةً، وسَألَ عنِّي، وقال: «مَا رَأيْنَاكَ بالأَمْسِ، عَسَىٰ ما خلاف!»، ثمَّ أُبْدِي له سببَ غِيَابِي.

❁ كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في سنةٍ قديمةٍ يَذْهبُ بسَيَّارتِهِ إلىٰ قريةٍ مجاورةٍ؛ ليَأْخُذَ أَحَدَ طَلَبة العِلْم الفُقَراء المُغْتربين ليأكلَ معه طعامَ الإِفْطارِ شِبْهَ يوميٍّ.

❁ أُثْنِيَ عَلَىٰ شَيْخنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ في إِحْدَىٰ المُحَاضراتِ ثناءً كبيرًا، فعَقَّبَ شَيْخُنا علىٰ ذَلِكَ الثَّناء، وَانْتقَدَه، وقالَ: «إنَّما أنَا طُوَيْلبُ عِلْمٍ صغيرٌ».اهـ.

❐ رابعًا: حرص الشيخ على العلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان الشيخ أحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ عجيبًا في حرصه علىٰ العلم، تعلُّمًا وتعليمًا، وإليك بعض المواقف التي ذكرها الشيخ عبد الله ابن محمد النجمي تؤيد ذلك:

❁ **قالَ الشَّيخُ زيد بن مُحمَّد المدخلي حفظه الله تعالى**: «ما عرفتُ الشَّيخَ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ إلَّا وَهُو يُعلِّم، ويَنْشر، ويَدْعو إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ». اهـ.

❁ قَبْلَ سنواتٍ حَصَل حادثُ سَيَّارةٍ لشَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ، فتَعِبَ علىٰ إِثْرِهِ، فكَتَب أبناءُ الشَّيخ لوحةً علىٰ بابِ بَيْتِهِ يُحدَّد فيها مَوَاعيدُ الاسْتِفْتاءِ، والزِّيارة؛ حِرْصًا مِنْهم علىٰ راحةِ الشَّيخ، فطَلَب مِنْهم إِبْعَادَ اللَّوحةِ، وإِزَالَتها، وبالفِعْل حَصَل ذَلِكَ؛ فلله دَرُّه من شيخٍ نَذَر حَياتَه لله عَزَّوَجَلَّ!

❁ ممَّا يتميز به شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: صَبْرُهُ علىٰ التَّدْريس، فقَلَّ أن تجدَ له نظيرًا في هَذَا البَابِ، فرُبَّما كانَ للشَّيخ في اليومِ الواحدِ سبعةُ دُروس؛ إضافة إلىٰ المُستفتين الذين يأتون للشيخ في اليوم الواحد مِنْ دَاخِل المِنْطقَةِ وخَارِجها، والزُّوَّار الَّذين يَأْتُونَ لزيارة الشَّيخ، وكأنَّه لا يَرْتاحُ، ولَا يَطمئنُّ إلَّا مع الدُّرُوس (التَّدْريس)، بَلْ يَكُونُ علىٰ فِرَاشِ المَرَضِ في البَيْتِ أو في المُسْتَشفىٰ؛ وَهُو يُقْرأ عليه، ويُجِيبُ السَّائلين؛ بَلْ ذَكَر لنا الشَّيخُ الدُّكتور/ مُحمَّد بن هادي المدخلي -حفظه الله- وكانَ مِمَّنْ يحبُّه شَيْخنا، ويُجلُّه «أنَّه قَرأَ علىٰ الشَّيخ، والجبسُ عَلَىٰ قَدَمِ الشَّيخ، وأثرُ الدَّمِ باقٍ في قَدمِهِ من حادثِ سَيَّارةٍ». اهـ.

❐ خامسًا: كرم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وبذله وعطاؤه:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

أمَّا عَنْ كَرَم شَيْخنا، فَسَائِلْ عَنْه كلَّ مَنْ عَرَف شَيْخنا أَوْ زَارَه فستَجِد عَجَبًا:

۞ كَانَ شَيْخُنا إِذَا زَارَه أحدٌ مِنْ مُحبِّيه من طَلَبة العِلْم أو المَشَائِخ لا يَتردَّد في دَعْوتِهِ للإفطارِ، أو الغداءِ، أو العشاءِ، وكَانَ كثيرًا ما يَتَّصلُ بي، ويَطْلبُ منِّي أَنْ أتَّصل بالمندي؛ لِكَيْ يعدُّوا ذبيحةً، أو نصفَ ذبيحةٍ علىٰ حِسَابِ شَيْخنا؛ بل رُبَّما يَكُونُ شَيْخُنا صائمًا، ومَعَ ذَلِكَ يُكْرِمُ ضُيُوفَه وطُلَّابَه.

۞ مِمَّا عَرفتُهُ من شَيْخنا مِنْ خِلَالِ مُلَازمتِي له: كُنَّا نَذْهَبُ إِلَىٰ أَحَدِ المسارحة يَوْم السَّبت لدرسٍ في «صحيح مسلم»، وعِنْد العَوْدة يَطْلُبُ الشَّيخُ منِّي صرفًا لخمس مئةِ ريالٍ، ثمَّ يَصْرفها دائمًا لطَلَبة العِلْمِ المُحْتاجِين، ويَتعَاهد بها الفُقَراءَ والمَسَاكِينَ.

❐ سادسًا: تعفف الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

۞ كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ صاحبَ تَعفُّفٍ عجيبٍ، وأَذْكُر أنَّه في مَرَّةٍ مِنَ المَرَّاتِ مَرَرْتُ أنا وإيَّاه بمَخْبزٍ، وقال شَيْخُنا: أُرِيدُ بريالٍ خبزًا، فذَهَب، وأخذتُهُ من المَخْبزِ، وقَالَ لي عاملُ المَخْبزِ: لَا تَأْخُذْ من الشَّيخِ الرِّيالَ، وقُلْ لَهُ: الأمرُ سهلٌ، فقَالَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: قُلْ لهم: إمَّا أن يَأْخُذُوا الرِّيالَ، وإمَّا أَنْ أُعِيدَ الخبزَ، فأَخَذُوا الرِّيالَ.

۞ بَعْدَ عِيدِ فِطْر عام ١٤٢٨هـ، جاءَ أحدُ التجَّار لِزِيَارةِ شَيْخِنا رَحِمَهُ اللَّهُ، ثمَّ لمَّا أرادَ الخُرُوجَ من بَيْتِ شَيْخِنا، طَلَب التَّاجرُ منِّي أَنْ أَخْرجَ مَعَه خارجَ المَجْلسِ، فخرجتُ مَعَه، وقالَ لِي: «عِنْدِي خمسةُ آلافِ ريالٍ أُرِيدُكَ أَنْ تُعْطي الشَّيخَ مُسَاعدةً منِّي؛ لأنَّ الشَّيخَ يأتي إليه أُنَاسٌ كثيرٌ!»، فقلتُ له: أنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْتلمَها مِنْك، ولَكِنْ أَعْرض الأمرَ علَىٰ شَيْخِنا فكَلَّمتُهُ، فقالَ: «إِنْ كَانَ يُرِيدُها لي فأنا -والحَمْدُ لله- بخيرٍ»، ولَمْ يَقْبَلها رَحِمَهُ اللَّهُ.

❐ سابعًا: حرص الشيخ على اتِّباع السُّنَّة:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

۞ كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في غَايَة الحِرْصِ عَلَىٰ اتِّباعِ السُّنَّة؛ ففِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّام، وَفِي صَلَاةِ الظُّهرِ، دَخَل شَيْخُنا الجامعَ القديمَ، وكَانَ لابسًا حِذَاءَه، وتَقدَّمَ المحرابَ؛ وَهُوَ لابسٌ الحِذَاءَ، فقالَ بعضُ النَّاسِ: يَا شيخ، نَسِيتَ الحذاءَ! فقَالَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: « عَمْدًا فعلتُ هَذَا»، فرحمةُ اللهِ عَلَىٰ شَيْخِنا رحمةَ الأَبْرارِ، ما أشدَّ حِرْصَه علىٰ اتِّباعِ السُّنَّة.

۞ كان شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ حريصًا عَلَىٰ تَشْييع الجنَائِزِ، وعَلَىٰ التَّعزية، ووالله، لقَدْ رأيتُ مِنْ شَيْخِنا مِنْ ذَلِكَ عجبًا رَحِمَهُ اللَّهُ، ولَقَدْ سافرتُ مَعَ شَيْخِنا إلىٰ مَكَّة؛ لتَشْييعِ جِنَازةِ الشَّيخ الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وتَعْزية أَهْلِهِ، وكَانَ شَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا ذَهَب إلىٰ التَّعزيةِ لا يُطِيلُ الجُلُوسَ.

قَالَ الشَّيخُ الدُّكتور مُحمَّد بن هادي حفظه الله:

«كُنْتُ آتِي إِلَىٰ شَيْخِنا أحمد النجمي في الضُّحىٰ؛ فكنتُ دائمًا أَدْخُلُ عليه في بيتِهِ القَدِيمِ في صامطة في وَقْتِ الضُّحىٰ، وهُوَ يُصلِّي الضُّحَىٰ».

۞ مَا عرفتُ شَيْخَنا إلَّا وَهُو يخضبُ لِحْيتَه بالحنَّاء؛ عملًا بالسُّنَّة، وما رأيتُ لحيتَه بيضاءَ إلَّا بَعْد أن دخلَ المُسْتَشفىٰ، ودَخَل في غَيْبوبةٍ.

۞ كثيرًا ما كَانَ يَقْرأ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في فَجْر الجُمُعةِ بـ (السَّجْدة والإنسانِ).

□ ثامنًا: دفاع الشيخ المرير عن السُّنَّة، ووقوفه الصامد في وجه أهل البدع:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

يَتَّضحُ ذلك جليًّا من خِلَالِ كُتُبِ شَيْخنا، ورُدُودِه، ومُحاضَراتِهِ، ودُرُوسِهِ؛ فكلُّها بيانٌ للعَقِيدةِ الصَّحيحة، وتحذيرٌ ممَّا يُضادُّها، وبيانٌ للسُّنَّة، وتحذيرٌ مِنَ البِدَعِ وأَهْلِها بشَتَّىٰ طَوَائِفهم، ومَنَاهِجهم، فهذِهِ كُتُبُهُ شاهدةٌ، ومُحاضَراتُهُ ناطقةٌ، فقَدْ عُرِفَ شَيْخُنا بشَجَاعتِهِ في بيانِ الحقِّ؛ فكانَ رَحِمَهُ اللَّهُ لا يخافُ في اللهِ لَوْمةَ لائمٍ، ويُبيِّن الحقَّ، ويردُّ علىٰ أَهْلِ الباطلِ بَاطِلَهم؛ رَضِيَ مَنْ رَضِيَ، وغَضِبَ مَنْ غَضِبَ.

وفـاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

لقَدْ تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ بمَدِينَةِ المَلِك فَهْد الطِّبِّيَّة بالرِّياض في يَوْم الأَرْبعاء ٢٠/ ٧/ ١٤٢٩هـ في تَمامِ السَّاعة العاشرةِ والنِّصْفِ صباحًا تقريبًا، وذلك بَعْد مُعانَاةٍ طويلةٍ مَعَ المَرَض، وقَدْ أُجْرِيَتْ له عَمليَّاتٌ جراحيَّةٌ في رأسِهِ وبطنِهِ، وَاسْتمرَّتْ مُعاناتُهُ ثمانيةَ أشهرٍ، جَعَل اللهُ ذلك كَفَّارةً لسَيِّئاتِهِ، ورِفْعةً لدَرجاتِهِ في جَنَّاتِ الفِرْدوسِ نُزُلًا.

نُقِلَ جُثْمانُ وَالِدِنا رَحِمَهُ اللَّهُ بطَائرةٍ خاصَّةٍ إلىٰ منطقة جازان بأَمْرٍ من نائب خَادِمِ الحَرمَين الشَّريفين الأمير/ سلطان بن عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، وصُلِّي عليه، ووُوري جُثْمانه عصرَ يوم الخميس الموافق ٢١/ ٧/ ١٤٢٩هـ في مَسْقط رأسِهِ بقرية النجاميَّة.

وقَدْ شَيَّعَ جنازتَه خَلْقٌ كثيرٌ من أبنائِهِ، وأقربائِهِ، ومعارِفِهِ، وطُلَّابِهِ؛ الَّذين جَاؤُوا مِنْ كلِّ مكانٍ؛ من دَاخِلِ بِلَادِنا السُّعودية وَخَارِجها، وكَانَ مَشْهدُ التَّشْييع مَهِيبًا؛ حَضَره عددٌ كبيرٌ من المُشيِّعين؛ لم تَشْهد المنطقةُ مثلَه من قَبْل، فكانَ خبرُ وفاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فاجعةً، وأَسىٰ، وحُزْنًا في نُفُوسِ جميعِ مُحبِّيهِ؛ مَنْ عَرَفه أو نَـهَل مِنْ عِلْمِهِ الصَّافي.

نَسْأل اللهَ أن يَتغمَّدَه بواسعِ رَحْمتِهِ، وأَنْ يُسْكنَه فسيحَ جَنَّاتِهِ، اللَّهمَّ آمين.

وقَدْ رَثَاه مجموعةٌ من الشُّعراء والأُدبَاء شعرًا ونثرًا؛ من الدَّاخل أو الخَارِجِ.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الترجمة أودُّ أُن أُشير إلىٰ أنها شيءٌ يسيرٌ ممَّا دَوَّنَه بعضُ أبناءِ الشَّيخ أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ وتلاميذه، وَمُحبِّيه من طُلَّاب العِلْمِ من داخلِ المملكة العربيَّة السُّعودية وخارجها، وفاءً بحقِّ شيخنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ ما قَدَّمه للإسلام والمسلمين.

وقد أردنا بهذه الترجمة المُختصرة التَّعْريفَ بهذا العَالِم الجليلِ لمَنْ لا يعرفُهُ من خلال فقرات هذه الترجمة، نَفَع اللهُ بها الجميعَ دنيا وأخرىٰ.

وجَزَىٰ اللهُ خيرًا كلَّ مَنْ شَارَكَ في جَمْعِ وإعدادِ فَقَراتِ هذه السِّيرة المختصرةِ، وجَعَلها في مَوَازينِ أَعْمالِهم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وسلم

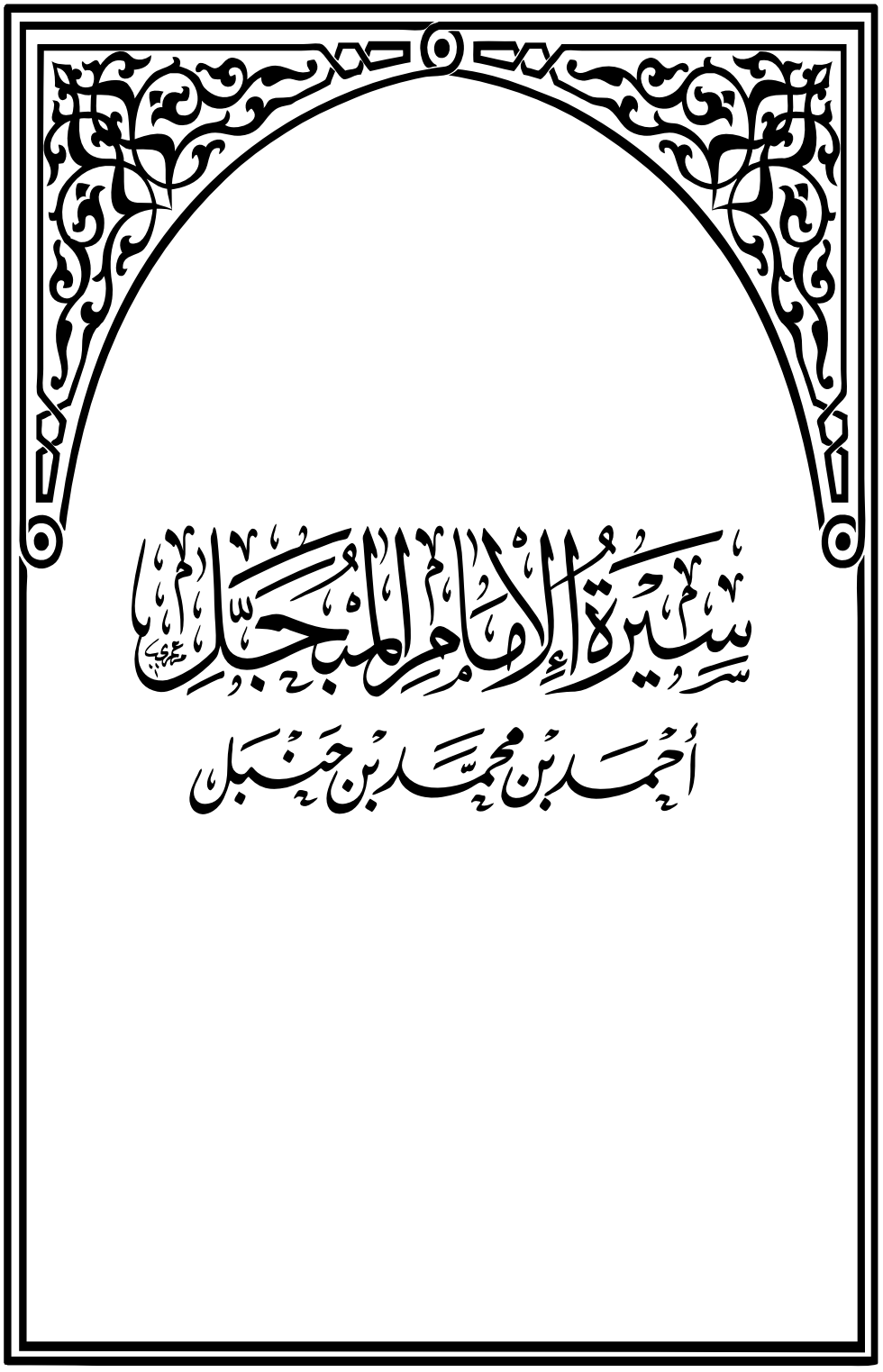
سيرة الإمام المبجل
أحمد بن محمد بن حنبل

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم **وبعد:**

فقد طَلَب مني المُشرفون علىٰ وقف السلام الخيري بمدينة الرياض أن أُترجم لعَلَمٍ من أعلام الحديث، وإمامٍ من أئمتهم، فاخترتُ أن أُترجم للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لما لهذا الإمام من المحبة والقبول والإجلال عند الناس جميعًا، وفي الأوساط العلمية خاصة، **ورأيتُ أن تكون الترجمة مشتملةً على الأبحاث الآتية:**

١- التعريف بنسبه.

٢- مولده.

٣- نشأته.

٤- بداية طلبه للعلم.

٥- شيوخه.

٦- رحلته في طلب العلم.

٧- حفظه للعلم.

٨- ورعه، وثناء العلماء عليه.

٩- أوصافه الشخصية.

١٠- ثباته في المحنة في عهد المعتصم.

١١- منعه من التحديث.

١٢- المحنة في عهد الواثق.

١٣- انتهاء المحنة بولاية المتوكل علىٰ الله.

١٤- حال الإمام في دولة المتوكل.

١٥- جهاده لأهل البدع.

١٦- وفاته.

١٧ – مؤلفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٨- منهج الإمام أحمد في تأليف «المسند».

❑ **وهذا أوان البدء في البحث، فأقول:**

١- التعريف بنسبه رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الإمام محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «سير أعلام النبلاء» في (ج١١/ ص١٧٧- ٢٢٧) رقم الترجمة (٧٨): «هو الإمام حقًّا، وشيخ الإسلام صدقًا: أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة».

وبعض النسابين يقدِّم ذهل بن شيبان.

وساق النسب إلىٰ بكر بن وائل.

ثمَّ قال: «الذهلي الشيباني المروزي، ثمَّ البغدادي، أحد الأئمة الأعلام.

هكذا ساق نسبه ولده عبد الله، واعتمده أبو بكر الخطيب في «تاريخه» وغيره»[1]، ويلتقي نسبه بنسب النبي ﷺ في نزار ابن معدِّ بن عدنان.

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٧، ١٧٨).

٢- مولده رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الإمام الذهبي: «وكان محمد والد أبي عبد الله من أجناد مَرْو، مات شابًّا؛ له نحو من ثلاثين سنة، ورُبِّي أحمد يتيمًا، وقيل: إنَّ أمَّه تحوَّلت من مَرْو وهي حاملٌ به»(١)، رحمها الله.

«... وقال أبو داود: سمعت يعقوب الدورقي، سمعت أحمد يقول: ولدت في شهر ربيع الأول سنة أربعٍ وستين ومئة»(٢).

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٩).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٩).

٣- نشأته رَحِمَهُ اللَّهُ

نشأ يتيمًا في حجر أمِّه، ونقل صالحٌ عن أبيه أنَّه قال: ثَقَبت أُمِّي أُذني، فكانت تصيِّر فيهما لؤلؤتين، فلمَّا تَرَعْرَعْتُ نَزَعَتْهُما، فكانتا عندها، ثمَّ دفعتهما إليَّ، فبعتهما بنحوٍ من ثلاثين درهمًا[١].

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٩).

٤- بداية طلبه للعلم رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الإمام الذهبي: «طلبَ العلمَ وهو ابن خمس عشرة سنة، في العام الذي مات فيه مالكٌ، وحماد بن زيد»[١].

قلت: كان ذلك في عام ١٧٩هـ.

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٠).

٥- شيوخه

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «سمع من إبراهيم بن سعد قليلًا، ومن هشيم بن بشير، فأكثر وجوَّد، ومن عبَّاد بن عباد المهُلَّبي، ومعتمر بن سليمان التيمي، وسفيان بن عيينة الهلالي، وأيوب بن النجَّار، ويحيىٰ ابن أبي زائدة، وعلي بن هاشم بن البَريد، وقران بن تمام، وعمَّار بن محمد الثوري، والقاضي أبي يوسف...»، وذكر عددًا من المشائخ الذين أخذ عنهم...

ثمَّ قال: فَعِدة شيوخه الذين روىٰ عنهم في «المُسند» مئتان وثمانون ونيف...

حدَّث عنه البخاري حديثًا، وعن أحمد بن الحسن عنه حديثًا آخر في المغازي.

وحدَّث عنه مُسلم وأبو داود بجملة وافرة.

وروىٰ أبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجة عن رجلٍ عنه.

وحدَّث عنه أيضًا ولداه؛ صالح وعبد الله، وابن عمِّه حنبل بن إسحاق[١].

ومن شيوخه: «عبد الرزَّاق، والحسن بن موسىٰ الأشيب، وأبو عبد الله الشافعي؛ لكن الشافعي لم يُسَمِّه؛ بل قال: حدَّثني الثقة.

وحدَّث عنه: علي بن المديني، ودحيم، وأحمد بن صالح، وأحمد بن أبي الحواري، ومحمد بن يحيىٰ الذهلي، وأحمد بن الفرات...»[٢]، وذكر جملةً ممن حدَّثوا عنه، بعضهم من شيوخه.

«**قال ابن أبي حاتم:** أخبرنا أبو زرعة أنَّ أحمد أصله بصري، وخُطَّته بمَرْو، وحدثنا صالح: سمعت أبي يقول: مات هشيم، فخرجت إلىٰ الكوفة سنة ثلاثٍ وثمانين، وأول رحلاتي إلىٰ البصرة سنة ستٍّ، وخرجت إلىٰ سفيان سنة سبع، فَقَدِمْنا وقد مات الفُضيلُ بن عياض، وحججتُ خمس حجج، منها ثلاثٌ رَاجِلًا، أنفقت في إحداها ثلاثين درهمًا، وقَدِم ابنُ المبارك في سنة تسعٍ وسبعين، وفيها أول سماعي من هشيم، فذهبت إلىٰ مجلس ابن المبارك، فقالوا: قد خرج إلىٰ طَرَسُوس، وكتبت عن هشيم أكثر من ثلاثة آلاف، ولو كان عندي خمسون درهمًا لخرجت إلىٰ جرير إلىٰ الرَّي.

قلتُ: أي: الذهبي: قد سَمِع منه أحاديث، قال: وسمعت أبي يقول:

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٠، ١٨١).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨١، ١٨٢).

كتبت عن إبراهيم بن سعد في ألواحٍ، وصَلَّيت خلفه غير مرةٍ، فكان يُسلِّم واحدة.

وقد روىٰ عن أحمد مـن شيوخه ابن مهدي». اهـ[١].

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٢).

٦- رحلته في طلب العلم رَحِمَهُ اللَّهُ

قال المروذي: «سمعت أبا عبد الله يقول: مات هشيم ولي عشرون سنة، فخرجت أنا والأعرابي -رفيق كان لأبي عبد الله- قال: فخرجنا مشاةً، فوصلنا الكوفة، يعني: في سنة ثلاثٍ وثمانين، فأتينا أبا معاوية وعنده الخلق، فأعطىٰ الأعرابي حجةً بستين درهمًا، فخرج وتركني في بيتٍ وحدي، فاستوحشتُ، وليس معي إلَّا جرابٌ فيه كتبي، كنت أضعه فوق لبنة، وأضع رأسي عليه، وكنت أذاكر وَكِيعًا بحديث الثوري»[1].

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٦).

٧- حفظه للعلم رَحِمَهُ اللَّهُ

قال المروذي: «وذكر مرةً شيئًا، وقال: هذا عند هشيم؟ فقلت: لا.

وكان ربما ذكر العشر أحاديث فأحفظها، فإذا قام، قالوا لي: فأمليها عليهم.

وحدثنا عبد الله بن أحمد، قال لي أبي: خذ أيَّ كتابٍ شئت من كتب وكيع من المصنف، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتىٰ أخبرك بالإسناد، وإن شئتَ بالإسناد حتىٰ أخبرك أنا بالكلام»[1].

قلت: يريد بالكلام: المتن، أي: الحديث الذي يُتوصل إليه بالإسناد.

قال الإمام الذهبي: «وسمعت أبا إسماعيل الترمذي يذكر عن ابن نمير قال: كنت عند وكيع، فجاءه رجلٌ -أو قال: جماعةٌ من أصحاب أبي حنيفة- فقالوا له: هاهنا رجلٌ بغدادي يتكلم في بعض الكوفيين! فلم يعرفه وكيعٌ، فبينا نحن كذلك؛ إذ طلع أحمد بن حنبل، فقالوا: هذا هو، فقال وكيعٌ: هاهنا يا أبا عبد الله، فأفرجوا له[2]، فجعلوا يذكرون

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٦).

(٢) أوسعوا له.

عن أبي عبد الله الذي يُنكرون، وجعل أبو عبد الله يحتجُّ بالأحاديث عن النبي ﷺ، وقالوا لوكيع: هذا بحضرتك ترىٰ ما يقول! فقال -أي: وكيع: رجلٌ يقول: قال رسول الله ﷺ، أيش أقول له؟! ثمَّ قال: ليس القول إلَّا كما قلت يا أبا عبد الله، فقال القوم لوكيع: خدعك -والله- البغداديُّ!»[١].

«وعن أحمد الدورقي عن أبي عبد الله قال: نحن إذا كتبنا الحديث من ستة وجوه أو سبعة لم نضبطه، فكيف يضبطه مَن كتبه من وجهٍ واحد؟!

قال عبد الله بن أحمد: قال لي أبو زرعة: أبوك يحفظ ألف ألف حديث، فقيل: وما يدريك ؟ قال: ذاكرته، فأخذت عليه الأبواب».

قال الإمام الذهبي: «فهذه حكايةٌ صحيحةٌ في سَعَة علم أبي عبد الله، وكانوا يُعدون في ذلك المكرر والأثر وفتوىٰ التابعين، وما فُسِّر، ونحو ذلك، وإلَّا فالمتون المرفوعة القوية لا تَبلغ عُشر مِعشار ذلك»[٢].

«قال إبراهيم الحربي: رأيت أبا عبد الله كأنَّ الله جمع له علم الأولين والآخرين»[٣].

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٦، ١٨٧).
(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٧).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٧).

قال الخَلَّال: «أخبرنا المروذي: سمعت محمد بن يحيىٰ القطان يقول: رأيت أبي مُكرمًا لأحمد بن حنبل، لقد بذل له كتبه، أو قال: حديثه.

وقال القواريري: قال يحيىٰ القَطَّان: ما قَدِم عليَّ من بغداد أحبُّ إليَّ من أحمد بن حنبل.

وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: شقَّ علىٰ يحيىٰ بن سعيد يوم خرجتُ من البصرة.

وقال عمرو بن العباس: سمعت عبد الرحمن بن مهدي ذكر أصحاب الحديث، فقال: أعلمهم بحديث الثوري: أحمدُ بن حنبل؛ قال: فأقبل أحمد بن حنبل، فقال: مَنْ أراد أن ينظر إلىٰ ما بين كتفي الثوري، فلينظر إلىٰ هذا»(١).

وقال أبو الوليد الطيالسي: «ما بالمِصْرَين(٢) رجلٌ أكرم عليَّ من أحمد بن حنبل»(٣).

قال عبد الله بن أحمد: «سمعت أبي يقول: قدمتُ صنعاء أنا ويحيىٰ بن معين، فمضيت إلىٰ عبد الرَّزَّاق في قريته، وتخلَّف يحيىٰ، فلما ذهبت أدقُّ الباب؛ قال بقَّالٌ تجاه داره: لا تَدُقَّ؛ فإنَّ الشيخ

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٩، ١٩٠).
(٢) أي: البصرة والكوفة.
(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٠).

يُهاب. فجلست حتىٰ إذا كان قبل المغرب خرج، فوثبتُ إليه، وفي يدي أحاديث انتقيتها، فسلمتُ عليه، وقلت: حدِّثْني بهذه الأحاديث، رحمك الله، فإني رجلٌ غريب؛ قال: ومَن أنت؟ وزبرني[١]. قلت: أنا أحمد بن حنبل، قال: فتقاصر[٢]، وضمَّني إليه، وقال: بالله، أنت أبو عبد الله، قال: ثمَّ أخذ الأحاديث، وجعل يقرؤها حتىٰ أظلم، قال للبقال: هلمَّ المصباح! وكان عبد الرزاق يُؤخِّر صلاة المغرب»[٣].

(١) أي: انتهرني.
(٢) أي: كَفَّ عن الحديث بشدة، ولَاَن له في الحديث.
(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٢).

٨- ورعه، وثناء العلماء عليه رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الإمام الذهبي في «السير»: «قال الخلال: حدثنا الرمادي: سمعت عبد الرزاق، وذكر أحمد بن حنبل، فدمعت عيناه، فقال: بلغني أن نفقته نفدَت، فأخذت بيده فأقمته خلف الباب، وما معنا أحدٌ، فقلت له: إنه لا تجتمع عندنا الدنانير؛ إذا بِعنا الغَلَّة أشغلناها في شيءٍ، وقد وجدتُ عند النساء عشرة دنانير فخذها، وأرجو ألاَّ تنفقها حتىٰ يَتهيأ شيءٌ. فقال: يا أبا بكر، لو قَبِلْتُ من أحدٍ شيئًا- قَبلتُ منك.

وقال عبد الله: قلت لأبي: بلغني أنَّ عبد الرزاق عَرَض عليك دنانير؟ قال: نعم.

وأعطاني يزيد بن هارون خمس مئة درهم- أظنُّ- فلم أقبل، وأعطىٰ يحيىٰ بن معين وأبا مسلم، فأخذا منه»[1].

قال المروذي: «قال لي أبو عبد الله: كنَّا عند يزيد بن هارون، فوهم في شيءٍ، فكلمته، فأخرج كتابه، فوجده كما قلتُ، فغيَّره، فكان إذا جلس

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٢، ١٩٣).

يقول: يابن حنبل، ادْنُ هاهنا! ومرضتُ فعادني، فنطحه البابُ»[١].

قال المروذي: سمعت بعض الواسطيين يقول: ما رأيت يزيد بن هارون ترك المزاح لأحدٍ إلَّا لأحمد بن حنبل[٢].

«وقال قتيبة: خيرُ أهل زماننا ابنُ المبارك، ثمَّ هذا الشابُّ، يعني: أحمد بن حنبل»[٣].

«وقال حَرْمَلةُ: سمعت الشافعيَّ يقول: خرجتُ من بغداد، فما خلَّفت بها رجلًا أفضلَ، ولا أعلمَ، ولا أفقهَ، ولا أتقىٰ من أحمدَ ابن حنبل»[٤].

«وقال نصرُ بن علي الجَهْضِمُّي: أحمدُ أفضلُ أهل زمانه»[٥].

«وقال إمام الأئمة ابنُ خزيمة: سمعت محمد بن سحنون: سمعت أبا عمير بن النحاس الرملي، وذكر أحمد بن حنبل، فقال: رحمه اللهُ، عن الدنيا ما كان أصبره! وبالماضين ما كان أشبهه! وبالصَّالحين ما كان أَلْحَقَه! عُرضت له الدنيا فأَبَاها، والبدع فنَفَاها»[٦].

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٤).
(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٤).
(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٥).
(٤) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٥).
(٥) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٧).
(٦) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٧).

«وقال قُتيبة: لولا الثوريُّ لمات الورعُ، ولولا أحمد لأحدثوا في الدِّين؛ أحمدُ إمامُ الدنيا»(١).

«وروي عن إسحاق بن راهويه: أحمدُ حُجَّةٌ بين الله وبين خلقه.

وعن ابن المديني قال: أعزَّ اللهُ الدِّينَ بالصِّديق يوم الرِّدة، وبأحمد يوم المحنة»(٢).

«وقال النفيلي: كان أحمدُ بن حنبل من أعلام الدين.

وقال علي بن خشرم: سمعت بشر بن الحارث يقول: أنا أُسألُ عن أحمد بن حنبل! أحمد بن حنبل أُدخل الكير، فخرج ذهبًا أحمر.

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن علي بن المديني وأحمد بن حنبل، أيهما أحفظ؟ فقال: كانا في الحفظ متقاربين، وكان أحمدُ أفقه، إذا رأيتَ مَنْ يحب أحمد، فاعلم أنَّه صاحبُ سُنَّة.

وقال أبو زرعة: أحمدُ بن حنبل أكبرُ من إسحاق وأفقه، وما رأيت أحدًا أكمل من أحمد.

وقال ابن وارة: كان أحمدُ صاحبُ فقه، صاحبُ حفظ، صاحب معرفة.

وقال النسائي: جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث والفقه

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٥).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٦).

والورع والزهد والصبر»[١].

قال الخَلَّال: أخبرني محمد بن موسىٰ، قال: رأيت أبا عبد الله؛ وقد قال له خراساني: الحمدُ لله الذي رأيتك، قال: اقعد، أي شيءٍ ذا، من أنا؟!

وعن رجلٍ قال: رأيتُ أثر الغم في وجه أبي عبد الله، وقد أثنىٰ عليه شخصٌ، وقيلَ له: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، قال: بل جزىٰ اللهُ الإسلامَ عني خيرًا؛ من أنا؟! وما أنا؟!

قال الخلال: أخبرنا علي بن عبد الصمد الطيالسي، قال: مسحتُ يدي علىٰ أحمد بن حنبل، وهو ينظر، فغضب، وجعل ينفض يده، ويقول: عمَّن أخذتم هذا؟![٢].

«قال عبد الله بن بِشْر الطَّالَقَاني: سمعتُ محمد بن طارق البغدادي؛ قلت لأحمد بن حنبل: أستمدُّ من مَحبرتك، فنظر إليَّ، وقال: لم يبلغ وَرَعي وورعك هذا، وتبسَّمَ»[٣].

وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: وددت أني أنجو من هذا الأمر كفافًا، لا عليَّ ولا لِي.

وقال المروذي: أدخلت إبراهيم الحصري علىٰ أبي عبد الله وكان

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٧- ١٩٩).
(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٢٥).
(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٢٥).

رجلًا صالحًا- فقال: إنَّ أمي رأت لك منامًا هو كذا وكذا، وذكرت الجنة، فقال: يا أخي، إنَّ سهل بن سلامة كان النَّاسُ يُخبرونه بمثل هذا، وخرج إلىٰ سفك الدماء، وقال: الرؤيا تسرُّ المؤمن ولا تغرُّه[١].

وترجم للإمام أحمدَ ابنُ كثير في «البداية والنهاية» في (ج١٠/ ٣٥٩- ٣٦٥)، وذكر نَسَبه كما قلناه من «سير أعلام النبلاء» إلىٰ بكر بن وائل، ثمَّ أوصله إلىٰ نزار بن معد بن عدنان، وأنَّه قَدَم به أبوه من مَرْو إلىٰ بغداد وهو حملٌ، فوضعته أمُّه ببغداد في عام ١٦٤هـ في ربيع الأول منه، وزاد: وتُوفِّي أبوه وهو ابن ثلاث سنوات، وكفلته أمُّه، وكان في حَدَاثته يختلف إلىٰ مجلس القاضي أبي يوسف، ثم ترك ذلك، وأقبل علىٰ سماع الحديث[٢].

وقال ابنُ أبي حاتم، عن أبيه، عن حَرْمَلة: سمعت الشافعيَّ قال: وَعدَني أحمدُ بن حنبل أن يَقدم عليَّ مصر، فلم يقدم.

قال ابن أبي حاتم: يُشبه أن تكون خِفة ذات اليد منعته أن يَفِي بالعدة.

وقد طاف أحمدُ بن حنبل في البلاد والآفاق، وسمع من مشائخ العصر، وكانوا يُجلونه ويحترمونه في حال سماعه منهم، وقد سرد شيخنا في «تهذيبه» أسماء شيوخه مُرتبين علىٰ حروف المعجم، وكذلك الرواة عنه.

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٢٧).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٥٩).

قال البيهقي بعد أن ذكر جماعةً من شيوخ الإمام أحمد: وقد ذكر أحمد بن حنبل في «المسند» وغيره الرواية عن الشافعي، وأخذ عنه جملةً من كلامه في أنساب قريش...

قلت (القائل ابن كثير): قد أفرد ما رواه أحمد عن الشافعي؛ وهي أحاديث لا تبلغ عشرين حديثًا، ومن أحسن ما رويناه عن الإمام أحمد عن الشافعي، عن مالك بن أنس، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَسَمةُ المؤمن طائرٌ تعلَّق في شجر الجنة حتىٰ يرجعه الله إلىٰ جسده يوم البعث**»(١).

وقال الشافعيُّ لأحمدَ لما اجتمع به في الرحلة الثانية إلىٰ بغداد في ١٩٠هـ، وعمر أحمد إذ ذاك نيفٌ وثلاثون سنة؛ قال: يا أبا عبد الله، إذا صحَّ عندكم الحديث فأعلمني به؛ أذهب إليه؛ حِجازيًّا كان، أو شاميًّا، أو عراقيًّا، أو يمنيًّا(٢).

وقول الشافعي له هذه المقالة تعظيمٌ لأحمد، وإجلالٌ له، وأنَّه عنده بهذه المثابة؛ إذا صحَّح أو ضعَّف يرجع إليه.

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وروىٰ البيهقيُّ عن الربيع؛ قال: بعثني الشافعيُّ بكتابٍ من مصر إلىٰ أحمد بن حنبل، فأتيتهُ، وقد انفتل من صلاة

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥/ ٦٥) (١٥٧٨٧)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٤١٣٨).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٠).

الفجر، فدفعتُ إليه الكتاب، فقال: أقرأته؟ فقلت: لا. فأخذه، فقرأه، فدمعت عيناه، فقلت: يا أبا عبد الله، وما فيه؟ قال: يَذكر أنَّه رأىٰ رسولَ الله ﷺ في المنام، فقال: اكتب إلىٰ أبي عبد الله أحمد بن حنبل، واقرأ عليه مني السَّلام، وقل له: إنَّك ستُمْتَحن وتُدْعىٰ إلىٰ القول بخَلْق القرآن، فلا تُجبهم، يرفع الله لك عَلَمًا إلىٰ يوم القيامة». اهـ[1].

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٥).

٩- أوصافه الشخصية رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الإمام الذهبي في «السير»: «قال ابن ذَرِيح العكبري: طلبتُ أحمدَ بن حنبل، فسلَّمت عليه، وكان شيخًا مَخْضُوبًا طِوالًا أسمر، شديد السُّمرة.

وعن محمد بن عباس النحوي؛ قال: رأيتُ أحمدَ بن حنبل حَسَن الوجه، رَبْعَةً؛ يخضب بالحِنَّاء خضابًا ليس بالقاني، في لحيته شعراتٌ سود، ورأيت ثيابه غلاظًا بيضًا، ورأيته معتمًّا، وعليه إزار.

وقال المروذي: رأيت أبا عبد الله إذا كان في البيت عامة جلوسه مُتربعًا، خاشعًا، فإذا كان برًّا لم يَتبين منه خشوعٌ، وكنت أدخل والجزء في يده يقرأ.

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: تزوَّجت وأنا ابن أربعين سنةً، فرزَقَ اللهُ خيرًا كثيرًا.

وقال أبو بكر الخلال في كتاب: «أخلاق أحمد»، وهو مجلد: أملىٰ عليَّ زهير بن صالح بن أحمد قال: تزوَّج جدي عبَّاسة بنت الفضل من

العرب، فلم يُولد له منها غير أبي، وتُوفِّيت، فتزوَّج بعدها ريحانة، فولدتْ له عبد الله عمي، ثمَّ توفيت، فاشترىٰ حُسْنَ، فولدت له أُمَّ عليٍّ زينبَ، وولدت له الحسن والحسين توأمًا، وماتا بقرب ولادتهما، ثم ولدت الحسن ومحمدًا، فعاشا حتىٰ صارا من السِّنِّ نحو أربعين سنة، ثمَّ ولدت سعيدًا.

قيل: كانت والدةُ عبد الله عوراء، وأقامت معه سنين». اهـ[1].

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٤، ١٨٥).

١٠- ثباته في المحنة في عهد المعتصم

ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» ما جاء في محنة أبي عبد الله؛ أحمد بن محمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ في أيام المأمون، ثمَّ المعتصم، ثمَّ الواثق بسبب قولهم في القرآن العظيم: إنَّه مخلوق، وما أَصَابه بسبب ذلك من الحبس الطويل، والضرب الشديد، والتهديد بالقتل، وسوء العذاب، وأليم العقاب، وقلة مبالاته بما كان منهم في ذلك إليه، وصبره عليه، وتمسكه بما كان عليه من الدِّين القويم والصراط المستقيم، وكان أحمدُ عالمًا بما ورد بمثل حاله من الآيات المتلوة والأخبار المأثورة... إلىٰ أن قال: «قال الله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١-٣]، وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان:١٧]».

ثمَّ أورد حديثَ سعد بن أبي وقاص عند أحمد في «مسنده» من طريق ابنه مصعب بن سعد، عن أبيه قال: سألتُ رسول الله ﷺ: أيُّ الناس أشد

بلاءً؟ قال: «**الأنبياء، ثمَّ الأَمْثَلُ، فالأمثل**»[(١)]. اهـ[(٢)].

قلت: وفي هذا الحديث بشارةٌ لأصحاب البلاء بوافر الأجر وعظيم الذخر عند الله عَزَّوَجَلَّ، حيث قَرَنهم بالأنبياء.

وذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ **في (ص ٣٦٥) ملخص الفتنة والمحنة من كلام أئمة السُّنَّة، فقال:** «قد ذكرنا فيما تقدم أنَّ المأمون كان قد استحوذ عليه جماعةٌ من المعتزلة؛ فأزاغوه عن طريق الحق إلىٰ الباطل، وزَيَّنوا له القولَ بخَلْق القرآن، ونفي الصفات عن الله عَزَّوَجَلَّ.

قال البيهقي: ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس خليفةٌ إلاَّ علىٰ مذهب السلف ومنهاجهم، فلمَّا ولي هو الخلافة اجتمع به هؤلاء، فحملوه علىٰ ذلك، وزيَّنوه له، واتفق خروجه إلىٰ طرطوس لغزو الروم، فكتب إلىٰ نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلىٰ القول بخلق القرآن، واتفق له ذلك آخر عمره قبل موته بشهور من سنة ثماني عشرة ومئتين، فلمَّا وصل الكتاب -كما ذكرنا- استدعىٰ جماعةً من أئمة الحديث، فدعاهم إلىٰ ذلك، فامتنعوا، فتهددهم بالضرب وقَطْع الأرزاق، فأجاب أكثرهم مُكرهين، واستمر علىٰ الامتناع من ذلك الإمام أحمدُ بن حنبل، ومحمد بن نوح

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٨٧) (١٤٩٤)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «التعليقات الحسان» (٢٨٩٠): «حسن صحيح».

(٢) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٤).

الجنديسابوري، فحُملا علىٰ بعيرٍ، وسُيِّرا إلىٰ الخليفة عن أمره بذلك، وهما مُقيَّدان متعادلان في مَحملٍ علىٰ بعيرٍ واحدٍ.

فلمَّا كانا ببلاد الرحبة جاءهم رجلٌ من الأعراب من عُبَّادهم يقال له: جابر بن عامر، فسلم علىٰ الإمام أحمد، وقال له: يا هذا، إنَّك وافد الناس، فلا تكن شُؤمًا عليهم، وإنَّك رأس الناس اليوم؛ فإياك أن تُجيبهم إلىٰ ما يَدعونك إليه فيُجيبوا، فتحمل أوزارهم يوم القيامة، وإن كنت تحبُّ الله فاصبر علىٰ ما أنت فيه؛ فإنَّه ما بينك وبين الجنة إلَّا أن تُقتل، وإن لم تُقتل تَمُتْ، وإن عِشْتَ عِشْتَ حميدًا.

قال أحمد: وكان كلامُه مما قوَّىٰ عزمي علىٰ ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الذي يدعونني إليه.

فلمَّا اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا دونه بمرحلة، جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه، ويقول: يعزُّ عليَّ يا أبا عبد الله أنَّ المأمون قد سلَّ سيفًا لم يسله قبل ذلك، وأنَّه يُقسم بقرابته من رسول الله ﷺ لئن لم تُجبه إلىٰ القول بخَلْق القرآن ليقتلنَّك بذلك السيف.

قال: فجثا الإمام أحمد علىٰ ركبتيه، ورمق بطرفه إلىٰ السماء، وقال: سيدي، غَرَّ حِلْمُك هذا الفاجر؛ فتجرَّأ علىٰ أوليائك بالضرب والقتل؛ اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق، فاكفنا مؤنته.

قال: فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل.

قال أحمد: ففرحنا.

ثمَّ جاء الخبر بأنَّ المعتصم قد وَلي الخلافة، وقد انضم إليه أحمد بن أبي دؤاد، وأنَّ الأمر شديد، فردُّونا إلىٰ بغداد في سفينةٍ مع بعض الأسارىٰ، ونالني منهم أذىٰ كثير، وكان في رِجليه القيود.

ومات صاحبُه محمد بن نوح في الطريق، وصلَّىٰ عليه أحمد.

فلمَّا رجع أحمدُ إلىٰ بغداد، دخلها في رمضان، فأُودع في السجن نحوًا من ثمانية وعشرين شهرًا، وقيل: نيفًا وثلاثين شهرًا.

ثمَّ أُخرج إلىٰ الضرب بين يدي المُعتصم، وقد كان أحمدُ -وهو في السجن- هو الذي يُصلي في أهل السجن والقيود في رجليه»[1].

ثمَّ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ذِكْرُ ضَرْبِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين يدي المعتصم**: لمَّا أحضره المعتصمُ من السجن، زاد في قيوده.

قال أحمد: فلم أستطع أن أمشي بها، فربطتها في التِّكَّة[2]، وحملتُها بيدي، ثمَّ جاؤوني بدابة، فحُملت عليها، فكدتُ أن أسقط علىٰ وجهي من ثِقل القيود، وليس معي أحدٌ يُمسكني، فسلَّم الله حتىٰ جئنا دار المعتصم، فأُدخلت في بيتٍ، وأُغلق عليَّ، وليس عندي سراجٌ، فأردت الوضوء، فمددت يدي، فإذا إناءٌ فيه ماء، فتوضأت، ثمَّ قمت، ولا أعرف القبلة، فلمَّا أصبحت، فإذا أنا علىٰ القبلة، ولله الحمد، ثمَّ دُعيت فأُدخلت علىٰ المعتصم، فلمَّا نظر إليَّ، وعنده ابن أبي دؤاد؛

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٤، ٣٦٥).

(٢) **التكة**: رباط السراويل.

قال: أليس قد زعمتم أنَّه حَدَث السن؟ وهذا شيخٌ مُكْهِلٌ!

فلمَّا دنوت منه، وسلَّمتُ، قال لي: ادْنُه، فلم يزل يُدنيني حتىٰ قربت منه، ثمَّ قال: اجلس.

فجلست، وقد أثقلني الحديد، فمكثت ساعةً، ثمَّ قلت: يا أمير المؤمنين، إلىٰ ما دعا ابنُ عمِّك رسولُ الله ﷺ؟

قال: إلىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله.

قلت: فإني أشهد أن لا إله إلَّا الله.

قال: ثمَّ ذكرتُ حديث ابن عباس في وفد عبد القيس، ثمَّ قلت: فهذا الذي دعا إليه رسول الله ﷺ.

قال: ثمَّ تكلم ابنُ أبي دؤاد بكلامٍ لم أفهمه، وذلك أنِّي لم أتفقه كلامه، ثمَّ قال المعتصم: لولا أنَّك كنت في يد مَن كان قبلي لم أتعرض إليك، ثمَّ قال: يا عبد الرحمن، ألم آمرك أن ترفع المحنة؟

فقلت: الله أكبر! هذا فرجٌ للمسلمين.

ثمَّ قال: ناظِرْه يا عبد الرحمن، كلِّمه.

فقال لي عبد الرحمن: ما تقول في القرآن؟

فلم أجبه، فقال المعتصم: أَجِبْه.

فقلت: ما تقولُ في العلم؟

فسكت.

فقلت: القرآن من علم الله، فمن زعم أنَّ علم الله مخلوقٌ، فقد كفر بالله، فسكت.

فقالوا فيما بينهم: يا أمير المؤمنين، كفَّرك وكفَّرَنا، فلم يلتفت إلىٰ ذلك.

فقال عبد الرحمن: كان اللهُ ولا قرآن.

فقلت: كان الله ولا علم!

فسكت.

فجعلوا يتكلمون من هاهنا، وهاهنا.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سُنَّة رسول الله حتىٰ أقول به.

فقال ابن أبي دؤاد: وأنت لا تقولُ إلَّا بهذا وهذا؟

فقلت: وهل يقوم الإسلامُ إلَّا بهما؟!

وجرت مناظراتٌ طويلةٌ.

واحتجوا عليه بقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢]، وبقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢].

وأجاب بما حاصله: أنَّه عامٌّ مخصوصٌ بقوله[1]: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف:٢٥].

---

(١) هكذا في «البداية والنهاية»، والصواب: «بمثل قوله».

فقال ابن أبي دؤاد: هو -والله- يا أمير المؤمنين ضالٌّ مضلٌّ مبتدعٌ، وهنا قُضاتُك والفقهاءُ، فسَلْهم.

فقال لهم: ما تقولون؟

فأجابوا بمثل ما قال ابن أبي دؤاد، ثمَّ أحضروه في اليوم الثاني، وناظروه أيضًا في اليوم الثالث، وفي ذلك يعلو صوته عليهم، وتغلب حجتُه حُججهم، فإذا سكتوا، فتح الكلامَ عليهم ابنُ أبي دؤاد، وكان من أجهلهم بالعلم والكلام.

وقد تَنوَّعت بهم المسائل في المجادلة، ولا عِلم لهم بالنقل، وجعلوا ينكرون الآثار، ويردون الاحتجاج بها، وسمعت منهم مقالاتٍ لم أكن أظنُّ أنَّ أحدًا يقولها، وقد تكلم معي ابن غوث بكلامٍ طويلٍ ذَكَر فيه الجسم وغيره بما لا فائدة فيه.

فقلت: لا أدري ما تقول؟ إلَّا أني أعلم أنَّ الله أحدٌ صمدٌ؛ ليس كمثله شيءٌ.

فسكت عني، وقد أوردت لهم حديث الرؤية في الدار الآخرة، فحاولوا أن يضعفوا إسناده، ويُلفِّقوا عن بعض المُحدثين كلامًا يَتسلَّقون به إلىٰ الطعن فيه، وهيهات، وأنَّىٰ لهم التناوش من مكانٍ بعيدٍ.

وفي غضون ذلك كله يتلطف به الخليفة، ويقول: يا أحمد، أَجِبْني حتىٰ أجعلك من خاصَّتي، وممن يَطأ بِساطي.

وأقول: يا أمير المؤمنين، يأتوني بآيةٍ من كتاب الله أو سُنَّة رسول الله ﷺ حتىٰ أجيبهم إليها؟

واحتج أحمد عليهم حين أنكروا الآثار بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾ [مريم:٤٢]، وبقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء:١٦٤]، وبقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه:١٤]، وبقوله: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠﴾ [النحل:٤٠]، ونحو ذلك من الآيات.

فلمَّا لم يَقم لهم معه حُجَّةٌ- عَدلوا إلىٰ استعمال جاه الخليفة، فقالوا: يا أمير المؤمنين، هذا كافرٌ ضالٌّ مُضِلٌّ.

وقال إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد: يا أمير المؤمنين، ليس من تدبير الخلافة أن تُخلي سبيله، ويَغلب خليفتين.

وعند ذلك حَمي واشتدَّ غضبُه، وكان ألينهم عريكةً، وهو يظنُّ أنَّهم علىٰ شيءٍ.

قال أحمد: فعند ذلك قال لي: لعنك الله، طمعتُ فيك أن تُجيبني فلم تُجبني.

ثمَّ قال: خذوه، واخلعوه، واسحبوه.

قال أحمد: فأُخذت وسُحبت وخلعت، وجيء بالعقابين والسياط، وأنا أنظر، فجردوني، وصرْت بين العقابين، فقلت: يا أمير المؤمنين،

الله، الله! إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امرئٍ مُسلم يَشهد أن لا إله إلا الله إلَّا بإحدىٰ ثلاث**»(١)، وتلوتُ الحديث، وأنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أُمِرتُ أن أُقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلَّا الله، فإذا قالوها عَصَموا مني دماءهم وأموالهم**»(٢)، فَبِمَ تَستحلُّ دَمي، ولم آتِ شيئًا من هذا يا أمير المؤمنين؟ اذكر وقوفكَ بين يَدَي الله كوقوفي بين يديك!

وكأنَّه أمسك، ثمَّ لم يزالوا يقولون له: يا أمير المؤمنين، إنَّه ضالٌّ مُضلٌّ كافرٌ.

فأمرني، فقمت بين العقابين، وجيء بكرسيٍّ، فأقمتُ عليه، وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأي الخشبتين، فلم أفهم، فتخلعت يداي، وجيء بالضرابين ومعهم السياط، فجعل أحدهم يضربني سوطين، ويقول له - يعني: المعتصم: شُدَّ؛ قطع اللهُ يديك!

وجاء الآخر فضربني سوطين، ثمَّ الآخر كذلك، فضربوني أسواطًا، فأغمي عليَّ، وذهب عقلي مرارًا.

فإذا سكن الضربُ- يعود عليَّ عَقْلي.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٤٠) (٣٦٢١): عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدىٰ ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المُفارق للجماعة**»، وهو عند البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٢٩) (٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو عند البخاري (٣٩٢)، ومسلم (٢١).

فقام المعتصم إليَّ يدعوني إلىٰ قولهم، فلم أُجبه، وجعلوا يقولون: وَيْحك! الخليفة علىٰ رأسك.

فلم أقبل، وأعادوا الضرب، ثمَّ عاد إليَّ فلم أجبه، فأعادوا الضرب، ثمَّ جاء إليَّ الثالثة، فدعاني فلم أَعْقل ما قال من شدة الضرب، ثمَّ أعادوا الضرب، فذهب عقلي ولم أحس بالضرب، وأرعبه ذلك من أمري، وأمر بي فأُطلقت، ولم أشعر إلَّا وأنا في حجرةٍ من بيتٍ، وقد أُطلقت القيود من رِجلي، وكان ذلك في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٢٢١هـ.

ثمَّ أمر الخليفةُ بإطلاقه إلىٰ أهله، وكان جملة ما ضرب نيفًا وثلاثين سوطًا، وقيل: ثمانين سوطًا، لكن كان ضربًا مبرحًا شديدًا جدًّا، وقد كان الإمام أحمد رجلًا رقيقًا، أسمر اللون، كثير التواضع رَحِمَهُ اللَّهُ». اهـ[1].

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٨).

١١- منعه رَحِمَهُ اللَّهُ من التحديث

كنت أعتقدُ أنَّه مُنع من التحديث من دولة ذلك الزمن، وحسب ما قرأت لم أجد ما يدل صراحةً علىٰ ذلك، والذي وجدته أنَّ الإمام أحمد لمَّا عاد إلىٰ بيته بعد الضرب، جلس في بيته؛ فلم يخرج منه لجمعةٍ ولا لجماعةٍ، وامتنع من التحديث.

قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «البداية والنهاية»: «ما كان من أمر الإمام أحمد بعد المحنة حين خرج من دار الخلافة: صار إلىٰ منزله حتىٰ برئ، ولله الحمد، ولَازَمَ منزله، فلا يخرج منه إلىٰ جمعةٍ ولا جماعة، وامتنع من التحديث، وكانت غَلَّتُه من ملْكٍ له في كل شهرٍ سبعة عشر درهمًا ينفقها علىٰ عياله، وتقنَّع بذلك رَحِمَهُ اللَّهُ صابرًا مُحتسبًا، ولم يزل كذلك مُدَّة خلافة المُعتصم، وكذلك في أيام ابنه محمد الوَاثِق»[1].

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٧١).

١٢- المحنة في عهد الواثق

قال الإمام الذهبي: «قال حنبل: لم يزل أبو عبد الله بعد أن برئ من الضرب يحضر الجمعة والجماعة، ويُحدِّث ويُفتي حتىٰ مات المُعتصمُ، وولي ابنُه الواثق، فأظهر ما أظهر من المحنة؛ والميل إلىٰ أحمد بن أبي دؤاد وأصحابه، فلمَّا اشتدَّ الأمر علىٰ أهل بغداد، وأظهرت القضاةُ المحنةَ، وفرِّق بين فضل الأنماط وبين امرأته، وبين أبي صالح وبين امرأته؛ كان أبو عبد الله ليشهد الجمعة ويُعيد إذا رجع، ويقول: تُؤتىٰ الجمعة لفضلها، والصلاةُ تُعاد خلف من قال بهذه المقالة.

وجاء نفرٌ إلىٰ أبي عبد الله، وقالوا: هذا الأمر قد فَشَاَ وتَفَاقَم، ونحن نخافه علىٰ أكثر من هذا، وذكروا ابنَ أبي دؤاد، وأنَّه علىٰ أن يَأمر المُعلمين بتعليم الصبيان في المَكاتب: القرآنُ كذا وكذا، فنحن لا نرضىٰ بإمارته، فمنعهم من ذلك وناظرهم، وحكىٰ أحمدُ قصده في مُناظرتهم، وأَمرَهم بالصبر.

قال: فبينا نحن في أيام الواثق، إذ جاءه يعقوب ليلًا برسالةٍ من الأمير إسحاق بن إبراهيم يقول: إنَّ أمير المؤمنين قد ذَكَرَك، فلا يَجتمعنَّ إليك أحدٌ، ولا تساكنِّي بأرضٍ ولا مدينةٍ أنا فيها؛ فاذهب حيث شئْتَ من

أرض الله، فاختفىٰ أبو عبد الله مدة حياة الواثق، وكانت تلك الفتنة، وقُتل أحمدُ بن نَصْر الخُزَاعي، ولم يزل أبو عبد الله مُختفيًا في البيت، لا يخرج إلىٰ صلاةٍ، ولا إلىٰ غيرها حتىٰ هَلَك الواثق»[١].

«وعن أبي عبد الله البوشنجي قال: حدَّث أحمد ببغداد جهرةً، فرجعت من الكوفة، فأدركته في رجب سنة ٢٧٤هـ، يعني ومئتين، وهو يُحدِّث، ثمَّ قطع الحديث لثلاثٍ بقين من شعبان بلا منعٍ؛ بل كتب الحسنُ بن علي بن الجعد قاضي بغداد إلىٰ ابن أبي دؤاد: إنَّ أحمد قد انبسط في الحديث، فبلغ ذلك أحمد، فقطع الحديث إلىٰ أن تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ»[٢].

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٦٣، ٢٦٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٦٥).

١٣- انتهاء المحنة بولاية المتوكل على الله

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال حنبل: ولي المتوكلُ جعفر؛ فأظهر الله السُّنَّة، وفرَّج عن الناس، وكان أبو عبد الله يُحدثنا ويحدث أصحابه في أيام المتوكل، وسمعته يقول: ما كان الناس إلىٰ الحديث والعلم أحوج منهم إليه في زماننا. ثمَّ إنَّ المتوكل ذكره، وكتب إلىٰ إسحاق بن إبراهيم في إخراجه إليه، فجاء رسول إسحاق يأمره بالحضور، فمضىٰ أبو عبد الله، ثمَّ رجع، فسأله أبي عمَّا دُعي له، فقال: قرأ عليَّ كتاب جعفر يأمرني بالخروج إلىٰ العسكر، يعني: سُرَّ مَن رأىٰ.

قال: وقال لي إسحاق بن إبراهيم: ما تقول في القرآن؟

قلت: إنَّ أمير المؤمنين قد نهىٰ عن هذا.

قال أبو عبد الله: وقال لي إسحاق بن إبراهيم: لا تُعْلِمْ أحدًا أنِّي سألتك عن القرآن.

فقلت له: مسألة مُسترشد، أو مسألة مُتعنِّت؟

قال: بل مسترشد.

قلت: القرآنُ كلام الله، ليس بمخلوق». اهـ[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلمَّا ولي المتوكل علىٰ الله الخلافة، استبشر الناس بولايته؛ لأنَّه كان محبًّا للسنة وأهلها، ورفع المحنة عن الإمام، وكتب إلىٰ الآفاق: لا يَتكلم أحدٌ في القول بخلق القرآن، ثمَّ كتب إلىٰ نائبه ببغداد؛ وهو إسحاق بن إبراهيم أن يبعث بأحمد بن حنبل إليه، فاستدعىٰ إسحاق الإمام، فأكرمه وعظَّمه لما يعلم من إعظام الخليفة له وإجلاله إياه، وسأله فيما بينه وبينه عن القرآن! فقال له أحمد: سؤالك هذا سؤال تعنُّتٍ أو استرشادٍ؟ قال: سؤال استرشاد، فقال: هو كلام الله منزلٌ، غير مخلوق، فسكن إلىٰ قوله في ذلك، ثمَّ جهَّزه إلىٰ الخليفة في (سُرَّ مَن رأىٰ)»[٢].

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٦٥).

(٢) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٧١).

١٤- حال الإمام أحمد في دولة المتوكل

قال الإمام الذهبي: «قال صالح بن أحمد: قال أبي: قال لي إسحاق ابن إبراهيم: اجعلني في حِلٍّ من حضوري ضربك!

فقلت: قد جعلتُ كلَّ مَن حضرني في حِلٍّ.

وقال لي: من أين قلتَ: إنَّه غير مخلوق؟

فقلت: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، ففرَّق بين الخلق والأمر.

فقال إسحاق: الأمر مخلوق.

فقال: يا سبحان الله! أمخلوقٌ يخلق مخلوقًا؟!

قلتُ: يعني: إنَّما خلق الكائنات بأمره، وهو قوله: «كن».

قال: ثمَّ قال: عمَّن تحكي أنَّه ليس بمخلوق؟

قلت: عن جعفر بن محمد، قال: ليس بخالقٍ ولا مخلوقٍ.

قال حنبل: ولم يكن عند أبي عبد الله ما يتحمل به أو يُنفقه، وكانت عندي مئة درهم، فأتيت بها أبي، فذهب بها إليه، فأصلح بها ما احتاج

إليه، واكترىٰ[١] وخرج، ولم يمضِ إلىٰ محمد بن إسحاق بن إبراهيم، ولم يسلِّم عليه حين خرج.

وقال إسحاق بن إبراهيم للمتوكل: إنَّ أحمد خرج من بغداد، ولم يأت مولاك محمدًا.

فقال المتوكل: يُردُّ، ولو وَطِئ بِساطي.

وكان أحمد قد بلغ بُصرىٰ[٢] فرُدَّ، فرجع وامتنع من الحديث إلَّا لولده ولنا، وربما قرأ علينا في منزلنا.

ثمَّ إنَّ رافعًا رفع إلىٰ المتوكل أنَّ أحمد ربَّص[٣] عَلَويًّا في منزله، يريد أن يُخرجه ويبايع عليه.

قال: ولم يكن عندنا عِلْمٌ، فبينا نحن ذات ليلة نيامٌ في الصيف سمعنا الجَلَبة، ورأينا النيران في دار أبي عبد الله، فأسرعنا، فإذا به قاعدٌ في إزار، ومظفَّر بن الكلبي صاحب الخبر وجماعةٌ معهم، فقرأ صاحب الخبر كتاب المتوكل: وردَ علىٰ أمير المؤمنين أن عندكم عَلَويًّا ربَّصته؛ لتبايع له وتظهره في كلامٍ طويلٍ.

ثمَّ قال له مظفر: ما تقول؟

---

(١) أي: استأجر دابةً يُسافر بها، أو استأجر مَن يحمله معه في سفره.

(٢) بصرىٰ المشهورة بالشام، وهذه بصرىٰ أخرىٰ، من قرىٰ بغداد، قرب عُكبرا. انظر «معجم البلدان».

(٣) أي: خبَّأه للوقت المناسب.

قال: ما أعرف من هذا شيئًا، وإنِّي أرىٰ له السمع والطاعة في عُسري ويُسري، ومنشطي ومكرهي، وأثرةٍ عليَّ، وإنِّي لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار في كلامٍ كثيرٍ.

فقال مظفر: قد أَمَرني أمير المؤمنين أن أُحلِّفَك.

قال: فَأَحْلَفه بالطلاق ثلاثًا أنَّ ما عنده طلبة أمير المؤمنين.

ثمَّ فتشوا منزل أبي عبد الله، والسرب، والغرف، والسطوح، وفتشوا تابوت الكتب، وفتشوا النساء والمنازل، فلم يروا شيئًا، ولم يُحسوا بشيءٍ.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٥].

وكتب بذلك إلىٰ المتوكل، فوقع منه موقعًا حسنًا، وعلم أنَّ أبا عبد الله مكذوبٌ عليه، وكان الذي دسَّ عليه رجلٌ من أهل البدع، ولم يَمت حتىٰ بيَّن اللهُ أمره للمسلمين؛ وهو ابن الثَّلْجي»[1].

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٦٦، ٢٦٧).

١٥- جهاده لأهل البدع

قال الذهبي: «قال محمد بن إسماعيل الترمذي: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أحمد بن حنبل، فقال له أحمد: يا أبا عبد الله، ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أبو عبد الله ينفض ثوبه، ويقول: زنديقٌ، زنديقٌ! ودخل البيت»(١).

وقال الذهبي: «قال أحمد بن محمد بن إسماعيل الأدمي: أخبرنا الفضل ابن زياد، سمعت أحمد بن حنبل يقول: مَنْ ردَّ حديث رسول الله ﷺ، فهو علىٰ شفا هَلَكة»(٢).

قال الحاكم: «حدثنا الأصَمُّ، سمعت محمد بن إسحاق الصَّغَاني، سمعت فوران صاحب أحمد يقول: سألني الأثرمُ وأبو عبد الله المعيطي أن أطلب من أبي عبد الله خلوة، فأسأله فيها عن أصحابنا الذين يفرقون بين اللفظ والمحكي؟

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٩٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٩٧).

فسألته، فقال: كيف تصرف في أقواله وأفعاله، فهو غير مخلوق، فأمَّا أفعالنا فمخلوقة.

قلت: فاللفظية تُعِدُّهم يا أبا عبد الله في جملة الجهمية.

فقال: لا، الجهمية الذين قالوا: القرآن مخلوق.

وبه قال: وسمعت فوران يقول: جاءني ابن شداد برقعةٍ فيها مسائل، وفيها أنَّ لفظي بالقرآن غير مخلوق، فضرب أحمد بن حنبل علىٰ هذه، وكتب: القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: مَنْ قال: «إنَّ أسماء الله مخلوقة»، فقد كفر.

وقال المروذي: سمعتُ أبا عبد الله يقول: مَنْ تعاطىٰ الكلام لا يُفلح، ومن تعاطىٰ الكلام لم يخل من أن يتجهَّم.

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: من أحبَّ الكلام لم يُفلح؛ لأنَّه يؤول أمرهم إلىٰ حيرة؛ عليكم بالسُّنَّة والحديث، وإيَّاكم والخوض في الجدل والمراء؛ أدركنا الناس وما يعرفون هذا الكلام، عاقبة الكلام لا تؤول إلىٰ خيرٍ.

وللإمام أحمد كلامٌ كثير في التحذير من البدع وأهلها، وأقوالٌ في السُّنَّة، ومن نظر في كتاب «السُّنَّة» لأبي بكر الخَلَّال، رأىٰ فيه علمًا غزيرًا، ونقلًا كثيرًا، وقد أوردتُ يعني: الذهبي من ذلك جملةً في ترجمة أبي عبد الله في «تأريخ الإسلام»، وفي كتاب «العزة للعلي العظيم»، فتَّرَني عن

إعادته هنا عدم النية، فنسأل الله الهدىٰ وحسن القصد، وإلىٰ الإمام أحمد المنتهىٰ في معرفة السُّنَّة علمًا وعملًا، وفي معرفة الحديث وفنونه، ومعرفة الفقه وفروعه، وكان رأسًا في الزهد والورع والعبادة والصدق»[1].

وقال الذهبي: «قال المروذي: أخبرت أبا عبد الله أنَّ أبا شعيب السوسي الرَّقي فرَّق بين ابنته وزوجها لمَّا وقف في القرآن.

فقال: أحسن؛ عافاه الله، وجعل يدعو له.

ولمَّا أظهر يعقوب بن شيبة الوقف، حذَّر عنه أبو عبد الله، وأمر بهجرانه.

ولأبي عبد الله في مسألة اللفظ نُقُولٌ عِدَّة، فأول من أظهر مسألة اللفظ: حسين بن علي الكرابيسي، وكان من أوعية العلم، ووضع كتابًا في المدلسين يحطُّ فيه علىٰ جماعة، فيه أنَّ ابن الزبير من الخوارج، وفيه أحاديث يقوِّي بها الرافضة، فأُعلم أحمد، فحذَّر منه، فبلغ الكرابيسي، فتنمَّر، وقال: لأقولنَّ مقالةً حتىٰ يقول ابن حنبل بخلافها فيكفر، فقال: لفظي بالقرآن مخلوق. فقال المروذي في كتاب «القصص»: فذكرت ذلك لأبي عبد الله أنَّ الكرابيسي قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وأنَّه قال: أقول: إنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق من كل الجهات إلَّا أنَّ لفظي به مخلوق، ومن لم يقل: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر. فقال أبو عبد الله: بل هو الكافر، قاتله الله، وأيُّ شيءٍ قالت الجهمية إلَّا هذا، وما

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٩١، ٢٩٢).

ينفعه، وقد نقض كلامه الأخير كلامه الأول، ثمَّ قال: أَيْش خبرُ أبي ثورٍ، أوَافَقه علىٰ هذا؟ قلت: قد هجره. قال: أحسن، لن يفلح أصحاب الكلام». اهـ[1].

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال إسحاق بن إبراهيم البغوي: سمعت أحمد يقول: من قال: «القرآن مخلوق»، فهو كافر، وسمع سلمة بن شبيب أحمد يقول ذلك، وهذا متواتر عنه.

وقال أبو إسماعيل الترمذي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من قال: القرآن مُحدث؛ فهو كافر.

وقال إسماعيل بن الحسن السرَّاج: سألت أحمد عمَّن يقول: القرآن مخلوق! قال: كافرٌ. ومَن قال: لفظي بالقرآن مخلوق! فقال: جهمي...

قلت القائل: هو الذهبي: الذي استقرَّ الحال عليه أن أبا عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ كان يقول: من قال: «لفظي بالقرآن غير مخلوق»؛ فهو مبتدع.

وأنَّه قال: من قال لفظي: بالقرآن مخلوق فهو جهمي.

فكان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يقول هذا، ولا هذا.

وربما أوضح ذلك، فقال: من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق»- يريد به القرآن؛ فهو جهمي.

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٨٩) بتصرفٍ يسيرٍ.

قال أحمد بن زنجويه: سمعت أحمد يقول: «اللفظية شر من الجهمية»[١].

قلت: جهاده رَحِمَهُ اللَّهُ لأهل البدع كثير، وفيه كلامٌ كثير، وأقتصر علىٰ هذا خشية الإطالة.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٨٨ ، ٢٨٩) باختصارٍ.

١٦- وفاته

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مرضُه: قال عبد الله: سمعت أبي يقول: استكملتُ سبعًا وسبعين سنة، ودخلت في ثمان، فحُمَّ من ليلته، ومات اليوم العاشر.

وقال صالح: لمَّا كان أول ربيع الأول من سنة إحدىٰ وأربعين ومئتين حُمَّ أبي ليلة الأربعاء، وبات وهو محموم، يتنفس تنفسًا شديدًا، وكنت قد عرفت عِلَّته، وكنت أُمرِّضه إذا اعتلَّ، فقلت له: يا أبتِ، علىٰ ما أفطرت البارحة؟ قال: علىٰ ماء باقلاء»[1].

قلت: الباقلاء: هو الدجر، في لهجة أهل الجنوب.

فكان الإمام أحمد زاهدًا، لا يَقبل من أحدٍ شيئًا، وكان يعيش علىٰ سبعة عشر درهمًا يأخذها من إيجار البيوت خلَّفها له أبوه، والسبعة عشر درهمًا هي تساوي أربعة ريالات وربع، وكانت أهله تَغزل أحيانًا، وترسل غَزلها للسوق تبيعه بدرهمين أو نحوهما، ولمَّا أُخذت ملابسه وهو بمكة وافتقده بعض أصحابه، فبحث عنه، فإذا هو بخربة لم يستطع

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٣٤).

أن يخرج، فعَرَض أن يعطيه شيئًا، فأبىٰ، فقال له: قَرْضًا، فأبىٰ، فقال: أنسخ لك السَّمَاعات التي سمعناها من فلان، وأخذ منه علىٰ أنَّ ما أعطاه يكون أجرةً في النسخ، ولمَّا نفدت نفقته وهو بصنعاء، فعرض عليه شيخه عبد الرزاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ دنانير، فأبىٰ أن يَقبلها، وأجَّر نفسه من الجمَّالين، والحكايات في زهده وتقشفه كثيرة.

والمهم أنَّه جلس يُمرَّض، وتوفي في ضحىٰ يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأول.

قال صالح: «واجتمعت عليه أوجاع الحَصْر[١] وغير ذلك، ولم يزل عقله ثابتًا، فلمَّا كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول لساعتين من النهار توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[٢].

وكانت جنازته حافلةً لم يُرَ مثلُها.

قيل: حُزِرَ الذين صلَّوا عليه من الرجال بثمان مئة ألف، ومن النساء بستين ألف امرأة.

وقال الذهبي: «قال موسىٰ بن هارون الحافظ: يقال: إنَّ أحمد لمَّا مات مُسحت الأمكنة المَبْسوطة التي وقف الناس للصلاة عليها، فحزَروا مقادير الناس بالمسَاحة علىٰ التقدير بست مئة ألف أو أكثر،

---

(١) **الحَصْر**: احتباس الحَدَث في البطن.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٣٥).

سوىٰ ما كان في الأطراف والحوالي والسطوح والمواضع المتفرقة أكثر من ألف ألف»[١].

وقال الذهبي أيضًا: «وقال جعفر بن محمد بن حسين النيسابوري: حدثني الفتحُ بن الحَجَّاج، سمعت في دار ابن طاهر الأمير أنَّ الأمير بعث عشرين رجلًا، فحزروا كم صلَّىٰ علىٰ أحمد بن حنبل، فحزروا، فبلغ ألف ألف وثمانين ألفًا سوىٰ مَنْ كان في السفن، فقال: بلغوا ألف ألف، وثلاث مئة ألف.

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة يقول: بلغني أنَّ المتوكل أمر أن يُمسح الموضع الذي وقف عليه الناس حيث صلِّي علىٰ أحمد، فبلغ مقام ألفي ألف وخمس مئة ألف.

وقال أبو بكر البيهقي: بلغني عن أبي القاسم البغوي: أنَّ ابن طاهر أمر أن يُحزر الخَلق الذين في جنازة أحمد، فاتفقوا علىٰ سبع مئة ألف».اهـ[٢].

وأقول: إنَّ بعض الروايات فيها مبالغة، ولعلَّ الرواية الأخيرة التي هي سبع مئة ألف تكون أقرب إلىٰ الصواب، والله أعلم.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٣٩).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٤٠).

١٧- مؤلفاته، ومنهجه في التأليف

قال الذهبي: «قال ابن الجوزي: كان الإمامُ أحمدُ لا يرىٰ وَضْعَ الكتب، وينهىٰ عن كتابة كلامه ومسائله، ولو رأىٰ ذلك لكان له تصانيف كثيرة، وصنَّف «المسند»، وهو ثلاثون ألف حديث»(١).

قلت: كما في الطبعة المرقمة بـ (٢٨١٩٩) حديثًا، وهي طبعة (بيت الأفكار الدولية) للنشر والتوزيع.

واطَّلعنا علىٰ الترقيم في «المُسند» المُحقَّق في خمسةٍ وأربعين جزءًا، فوجدنا أنَّ الرقم الأخير (٢٧٦٤٧) حديثًا بتحقيق شعيب الأرناؤوط ومن معه من المُحققين، وذلك في طبعة مؤسسة (الرسالة).

«وكان الإمام أحمد يقول لابنه عبد الله: احتفظ بهذا المسند، فإنَّه سيكون للناس إمامًا، والتفسير وهو (١٢٠٠٠٠) ألف حديث، ولكنَّه مفقود، والناسخ والمنسوخ، والتأريخ، وحديث شعبة، والمُقدم والمؤخر في القرآن، وجوابات القرآن، والمناسك الكبير والصغير، وأشياء أخر»(٢).

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٢٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٢٧، ٣٢٨).

وبالجملة: لم يذكر الذهبيُّ ردَّ الإمام أحمد علىٰ الجهمية.

«**قلت القائل: هو الإمام الذهبي:** ومن مؤلفاته: كتاب الإيمان، وكتاب الأشربة، ورأيت له ورقة من كتاب الفرائض، وتفسيره المذكور شيءٌ لا وجود له ، لو وُجِد لاجتهد الفضلاء في تحصيله، ولاشتهر، ثمَّ لو ألَّف تفسيرًا لما كان أزيد من عشرة آلاف أثر، ولاقتضىٰ أن يكون في خمس مجلدات»[1].

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٢٨).

١٨- منهج الإمام أحمد في تأليف «المسند»

❑ **التأليف ينقسم إلى أقسام:**

١- **التأليف على الأبواب:** كتأليف صَاحِبيَ «الصحيحين»: البخاري ومسلم، وأصحاب السنن: أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة.

٢- **التأليف على المسانيد:** وهو أن تجمع أحاديث كل واحدٍ من الصحابة في مكانٍ واحد، وهذه طريقة الإمام أحمد في «مسنده».

٣- **التأليف على طريقة المعاجم:** وهو أن يأتي بالأحاديث بحسب معجم شيوخه، والترتيب قد يكون في المسانيد والمعاجم علىٰ حسب الأقدمية في الفضل، أو الأقدمية في السِّن، أو الترتيب علىٰ حروف المعجم.

وإنَّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ قد رتَّب كتابه «المسند» علىٰ مسانيد الصحابة كعادة أهل المسانيد، وهو أن يجعل حديث كل صحابي علىٰ حدة؛ صحيحًا كان أو حسنًا أو ضعيفًا من غير التفاتٍ إلىٰ الموضوعات والأبواب.

ويُتَّبَع في ترتيب مسانيد الصحابة طرائق عدة:

➢ فقد تُرتب علىٰ حروف الهجاء، أو علىٰ السابقة في الإسلام، أو الشَّرافة النسبية، أو غير ذلك.

➢ وقد يقتصر في بعضها علىٰ أحاديث صحابيٍّ واحد؛ كمسند أبي بكر، أو أحاديث جماعةٍ منهم؛ كمسند الأربعة، أو العشرة، أو طائفة مخصوصة يجمعها وصفٌ واحد؛ كمسند المقِلِّين من الصحابة، ومسند الصحابة الذين نزلوا مصر(١).

ويظهر أنَّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ قد توخَّى ترتيب الصحابة في «مسنده» حسب اعتباراتٍ عدة:

➢ منها: الأفضلية.

➢ والسابقة في الإسلام.

➢ والشَّرافة النَّسَبِية.

➢ وكثرة الرواية.

إذ بدأ مسنده بمسانيد الخلفاء الأربعة، ثمَّ مسانيد بقية العشرة المُبشرين بالجنة، ثمَّ مسند أهل البيت، ثمَّ مسانيد المُكثرين من الرواية؛ كالعبادلة الأربعة: ابن عباسٍ، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عمرو بن

(١) انظر «الرسالة المستطرفة» (ص٦٠، ٦١).

العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثمَّ مسند المكيين، ثمَّ مسند المدنيين، ثمَّ مسند الشاميين، ثمَّ مسند الكوفيين، ثمَّ مسند البصريين، ثمَّ مسند الأنصار، ثمَّ مسند النساء[1].

(١) انظر مقدمة «المسند» في (ج١/ ٥٤ ، ٥٥) بتحقيق شعيب الأرناؤوط ومَن شاركه.

الخاتـمة

الحمد لله علىٰ تمام هذه الترجمة لِعَلمٍ من أعلام الملة، وإمامٍ من أئمتها؛ فقد حرصتُ علىٰ أن تكون هذه الترجمة مختصرةً، وإلَّاَ فإنَّ الكتابات عن الإمام أحمد كثيرةٌ، وقد ترجم الذهبي للإمام أحمد في «سير أعلام النبلاء» في حوالي (١٨٠) صفحة، وخصص بعضهم ترجمته في التأليف، فجاءت مجلدًا مستقلًّا.

وفي النهاية ينبغي أن نتخذ من هذا الإمام الأسوة والقدوة حيث كانت أخلاقه وأعماله تُمثِّل السُّنَّة.

والله الموفق والمعين؛ وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه

كتبها

أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النَّجمي

في ٣/ ٧/ ١٤٢٦هـ

فهرس
الموضـوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة الناشر ١

❑ ترجمة فضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ ١١

❑ المقدمة ٢٩

١- التعريف بنسبه رَحِمَهُ اللَّهُ ٣١

٢- مولده رَحِمَهُ اللَّهُ ٣٢

٣- نشأته رَحِمَهُ اللَّهُ ٣٣

٤- بداية طلبه للعلم رَحِمَهُ اللَّهُ ٣٤

٥- شيوخه ٣٥

٦- رحلته في طلب العلم رَحِمَهُ اللَّهُ ٣٨

٧- حفظه للعلم رَحِمَهُ اللَّهُ ٣٩

٨- ورعه، وثناء العلماء عليه رَحِمَهُ اللَّهُ ٤٣

٩- أوصافه الشخصية رَحِمَهُ اللَّهُ ٥٠

١٠- ثباته في المحنة في عهد المعتصم ٥٢

١١- منعه رَحِمَهُ اللَّهُ من التحديث ٦٢

١٢- المحنة في عهد الواثق ٦٣
١٣- انتهاء المحنة بولاية المتوكل على الله ٦٥
١٤- حال الإمام أحمد في دولة المتوكل ٦٧
١٥- جهاده لأهل البدع ٧٠
١٦- وفاته ٧٥
١٧- مؤلفاته، ومنهجه في التأليف..... ٧٨
١٨- منهج الإمام أحمد في تأليف «المسند» ٨٠
❑ الخاتـمة ٨٣
فهرس الموضوعات..... ٨٧